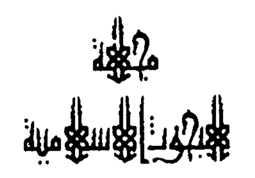


محمد الصباغ

أبو داود

حياته وسننه

الإشراف الفني

جمال النهري

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد

فان الشريعة المطهرة تقوم على المصدرين الخالدين : كتاب الله وسنة رسوله وفيهما الهدى والفلاح . من تمسك بهما لم يضل ، ولا يدعهما إعراضا عنهما الا زائغ هالك .

وقد حفظهما الله عز وجل من عدوان المعتدين ، وتحريف المغرضين ، فتكفل الله سبحانه بحفظ الذكر الحكيم ﴿ إنا نحن نزلنا إنّا له لحافظون ﴾ (١) وهيأ للسنة رجالا يذبون عنها افتراء المفترين وينقونها عن الزيف والدخيل حتى استبان الصحيح من السقيم واتضحت معالم الطريق . ووصلت إلينا كتب السنة متواترة لأصحابها بعد أن استغرقوا وسعهم وبذلوا جهدهم ولم يدعوا وسيلة من وسائل التثبت والتيقن الا سلكوها . فجزاهم الله خير الجزاء وأحسن مثوبتهم في دار كرامته .

وان مما يحق لنا أن نفخر به أعظم الفخر تلك الانجازات العظيمة التي حققها أولئك العلماء في ميدان التحقيق والتنقيح حتى غدت قواعد المصطلح مثلا يحتذى .

ومن أهم كتب السنة الكتب الستة ، وهي: الصحيحان وسنن النسائي وسنن أبي داود وجامع الترمذي وسنن ابن ماجه .

وقد أصبح لهذه الكتب من المنزلة الرفيعة ما جعل بعض العلماء يطلق عليها اسم الصحاح (٢) ولم يزاحم هذه الكتب الا مسند أحمد وموطأ مالك وسنن الدارمي ، ولكل منها مزية . . . ومهما يكن من أمر فقد غدت هذه الكتب التسعة من أشهر كتب السنة ومصادر لفهم الدين

---

(١) سورة الحجر الآية : ٩ .

(٢) «كشف الظنون» ١ / ١٠٠٤ .

أصـوله وفروعـه ومن أجل ذلك فـقـد حظيت بعناية المسـلمين على مـر العـصور دراسـة وشـرحا واسـتنباطا وتخـريجاً واختـصـاراً وفـهرسـة . . . .

وبحثي المتواضع هذا محاولة في دراسة «سنن أبي داود» وبيـان منزلة هذا الكتاب وذكر خصائصه والتعريف بمؤلفه .

ويقع في بابـين :

الأول : في حيـاته .

الثاني : في سـننه .

وأرجو أن يكون كلامي تذكيرا لأهل العلم بواجب خدمة هذه الكتب وحثاً لأولي الأهلية على القيام بهذا الواجب ، ولعل من أهم مجالات الخدمة التي نتطلبها تخريج أحاديث هذه الكتب وتحقيق الحكم عليها .

وأنا أعرف أن ذلك مطلب ليس يسيرا ولا هينا ، ذلك لأن الحديث الواحد قد يكون مرويا بأسـانيد متعددة ، فاذا كان سـنده في كتاب ضعيفاً فليس يبعد أن يكون وارداً في كتاب آخر معتمداً بسند قوي .

من أجل ذلك ينبغي أن نقرر أن هذا الحديث بهذا السند يستحق هذا الحكم ، والذي يخفف من الحرج أمران :

أولهما : عندما نحكم على حديث بأنه ضعيف بسبب ضعف سنده لا نكون قد اخطـأنا .

هذا والمشكلة تكون كبيرة عندما ندخل في الدين ما ليس منه أما أن نحكم على حديث بالضعف بسبب ضعف سنده فهذا أمر طبيعي ، ويبقى هذا الحكم ساريا حتى نقف على طريق آخر صحيح له . واذا بذل المرء جهده ومستطاعه كان مأجوراً ان شاء الله ولا يكلف الله نفسـاً الا وسـعها .

وثانيهـما : أنه مما يخفف من الحرج والمشقة أننا اذا جرينا على هذا النهج في الكتب الأخرى نستطيع بوساطة الفهارس العديدة أن نتبين بسهولة بالغة ان كان هذا الحديث مثلا مروياً في كتاب آخر بسـند صـحيح .

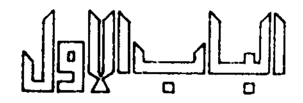
وأحسب أن العقل الالكتروني يساعد في هذا المجال إن استخدم مساعدة فعالة .

وأنا أسـأل الله أن يشرفني بالانضواء تحت لواء الخادمين لسنة رسوله صلى الله عليه وسلم المدافعين عنها العاملين بها إنه سبحانه خـير مسـؤول .

﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾ وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمـين .

الرياض في ٢٠ صفر سنة ١٣٩٤ هـ

محمد بن لطفي بن عبد اللطيف بن ياسين الصباغ





عصره

ولد أبو داود في مطلع القرن الثالث الهجري وتوفي في أواخره.

والقرن الثالث هو العصر العلمي الذهبي في تاريخنا كله ، وقد أتيح للمؤلف رحمه الله أن يشهد نضج الحضارة الاسلامية في هذا القرن، كما أتيح له أن يعيش هذا العصر الذي ازدحم بالعبقريات والموهوبين الأفذاذ في شتّى شؤون الفكر .

ويكفينا للدلالة على ذلك أن نذكر من أعلام هذا القرن الأسماء الآتية :

ففي الحديث

كان البخاري ومسلم ويحيى بن معين وأحمد بن حنبل والترمذي والنسائي .

وفي الفقه

كان الربيع والمزني صاحبا الشافعي وداود الظاهري وغيرهم .

وفي الشعر

كان علي بن الجهم وابن الرومي والبحتري وابن المعتز .

وفي العلم بالادب

كان المبرد وابن قتيبة والجاحظ وثعلب والفراء ، وغيرهم كثير . وهكذا ..

ولا شك في أنّ أبا داود كان واحداً من هؤلاء العمالقة الأفذاذ في هذا العصر .

وكانت الحضارة قد بدأت تؤتي ثمارها وتنضج نضجاً رائعاً ترك أطيب الأثر في حياة المسلمين والدنيا كلها .

وما نزال معجبين بهذه الحضارة التي أينعت ثمارها وامتدت ظلالها في هذا القرن فكانهذا التراثالعظيم الذي ما زالت الأجيال وستبقى تعيش مفيدة من مائدته .

ولد أبو داود سنة ٢٠٢ في ظل الخليفة العباسي العالم **المأمون** ، وإن استعراض أسماء الخلفاء الذينجاؤا إلى سدة الخلافة خلال حياة أبي داود ليشعرنا بفخامة العصر الذي كان فيه .

فبعد المأمون (ت ٢١٨) جاء للخلافة **المعتصم** (ت ٢٢٧) ثم **الواثق** (ت٢٣٢) ثم **المتوكل**(ت ٢٤٧) ثم **المنتصر** (ت٢٤٨) ثم **المستعين** (ت٢٥٢) ثم**المعتز** (ت٢٥٥) ثم **المهتدي** (ت٢٥٦) ثم **المعتمد على الله** (ت٢٧٩)

وهذا الأخير حَجَّر عليه أخوه الموفق واستبدّ بالأمر دونه ، ولم يصبح خليفة ، وللموفق مع أبي داود أخبار سنذكر طرفاً منها فيما بعد .

ومن المعروف أن اضطراب شؤون الدولة العباسية قد بدأ بمقتل المتوكل سنة ٢٤٧هـ ، فلقد أراد أن يكفكف من غلواء العسكريين الاتراك الذين بدأ تسلطهم أيام المعتصم فلم يفلح.
وإن عصراً هذا وزنه لا نستطيع أن نلم بجميع الجوانب فيه بكلمة مستعجلة .

ويكفينا أن نذكر بشأنه الأمور المقررة الآتية :

١ - التناحر بين أفراد الأسرة الحاكمة كان على أشده .

٢ - سيطرة العناصر الأعجمية عموماً والتركية خصوصاً كان أمراً واضحاً .

٣ - الثورات في أطراف الدولة الاسلامية .

٤ - الثورة في قلب الدولة وفي العراق بصورة خاصة .

٥ - الصراع النصراني - الاسلامي في الحدود الشمالية الغربية .

٦ - تسلط رجال الفرق الضالة على بعض الخلفاء وممارسة لون من الاستبداد الفكري ومقاومة العلماء وسجنهم .

٧ - قيام نزعات فكرية متعددة ، وبعضها هدام خطير .

ولولا أن الحياة الاجتماعية كانت تسير بوجه عام على سنن الاسلام العظيم ، وأن الحياة الفكرية والعلمية كانت تقوم بمهمتها في الهداية والارشاد وإقامة الحجة على أحقية الاسلام ، لكانت الحياة السياسية تلقي لوناً قاتماً بعض الشيء على هذا العصر الموار.

x x x

اسمه . نسبه . نسبته

هو أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو بن عمران (١) الأزدي السجستاني .

وعمران هذا ذكر ابن عساكر وابن حجر أنه قتل مع علي بن أبي طالب بصفين(٢). وأبو داودعربي صميم من الأزد (٣) ، والأزد قبيلة معروفة في اليمن (٤) .

والسجستاني نسبة إلى البلد سجستان ، وهي بكسر السين وفتحها ، والكسر اشهر ، والجيم مكسورة فيهما(٥) ولم يذكر ياقوت في « معجم البلدان » إلا كسر السين (٦) .

وقد ذكرت الكتب التي ترجمت له أنها بلد يتاخم أطراف مكران والسند ، وقررت أنه ما وراء هراة (٧) وذكر ياقوت أنها ناحية كبيرة وولاية واسعة وأنها جنوبي هراة، ووصف حسن جوها وثمراتها وسكانها وعاداتهم (٨) وقد وهم من زعم أنّ سجستان قرية من قرى البصرة (٩) .

وذكر الأستاذ محبّ الدين الخطيب رحمه الله في مقدمته لكتاب « موارد الظمآن » أن سجستان هي بلاد الأفغان الآن (١٠) وهي في الحقيقة القسم الجنوبي من بلاد الأفغان .

---

(١) هذا هو الصواب في نسبه : وهكذا ورد فيمعظم الكتب التى ترجمتهفي أن بروكلمان في «تاريخ الأدب العربي» ١٨٥/٣ قال : (سليمان بن الجارود بن الاشعث) وهو غلط وأورد النـووي في (تهـــذيب الاسماء واللغات ٢٢٤/٢ قول ابن‌ابى حاتم أنه : (سليمان بن الاشعث ابن‌شداد بن‌عمرو بن‌عامر) وقول محمد بن‌عبد العزيز الهاشمي‌انه(سليمان بن بشـير بن شداد) ثم أورد القول الذى رجحــه والذي اعتمدناه • ونقل عن الحافظ ابي طاهر السلفي أنه قال فيــــه(وهذا القول أمثل والقلب اليه أميل)

(٢) انظر « تهذيب تاريخ ابن عساكر » للأســـتاذ عبد القادر بدران٢٤٤/٦ و « تهذيب التهذيب » لابن حجر ١٦٩/٤

(٣) انظر في « امراء البيان » لمحمد كرد على ص ٥٠٣ تحقيقا في هـذاالموضــــــوع •

(٤) جاء في « القاموس » : الازد أبو حي باليمن ، ومن اولاده الانصـاركلهـــم •

(٥) انظر « تهذيب الأسماء واللغات للنووى القسم الاول ٢٢٤/٢

(٦) انظر « معجم البلدان » لياقوت ١٩٠/٣

(٧) انظر «تذكرة الحفاظ»للذهبي ص ٥٩١

(٨) انظـر « معجـم البلـدان ١٩٠/٣ ـ ١٩٢ •

(٩) انظر « وفيات الاعيان » و « تذكرة الحفاظ » و « معجم البلدان »

(١٠) انظر « موارد الظمان الى زوائد بن حبان » للهيثمي ص ١٨ ١٩١/٣ ـ ١٩٢

ويقال له السجستاني والسجزي وهي نسبة على غير القياس قال فيها المنذري : وهو من عجيب التغيير في النسب (١) .

وقيل : السجزي نسبة إلى سجز وهي سجستان(٢) .

× × ×

نشأته

ولد أبو داود سنة ٢٠٢هـ كما ذكرنا وتلقى العلم على علماء بلده ، ثم ارتحل وطوّف بالبلاد في طلب العلم وتحصيل الرواية ، فزار العراق والجزيرة والشام ومصر وكتب عن علماء هذه البلاد جميعاً . قال الخطيب : (وكتب عن العراقيين والخراسانيين والشاميين والمصريين والجزريين)(٣).

وليس من شك في أنّ هذه الرحلات قد وسعت من افقه وأطلعته على ألوان الثقافة في عصره في كل أنحاء العالم الإسلامي.

والبلاد التي سكنها كثيرة نذكر منها ما وصل إليه علمنا وهي :

سجستان التي كانت بلده والتي نسب إليها، وخراسان، والري (٤) وهراة (٥) والكوفةالتي دخلها سنة ٢٢١ كما ذكر الخطيب (٦)، وبغداد التي قدم إليها مرات ، وآخر مرة زارها كانت سنة ٢٧١هـ ، وطرسوس التي أقام بها عشرين سنة (٧) ودمشق التي سمع الحديث فيها كما يذكر ابن عساكر (٨)، ومصر أيضاً، والبصرة التي انتقل إليها بطلب من الأمير أبي أحمد الموفق (٩) الذي جاء إلى منزله في بغداد واستأذن عليه ورجاه أن يتخذ البصرة وطناً ليرحل إليه طلبة العلم من أقطار الأرض فتعمر بسببه فإنها قد خربت وهُجرت وانقطع الناس عنها لما جرى عليها من فتنة الزنج (١٠).

---

(١) « مختصر المنذري لسنن أبي داود » ١٢/١

(٢) « تهذيب الاسماء واللغات » للنووي ٢٢٤/٢

(٣) « تاريخ بغـــداد » ٥٥/٩

(٤) « تهذيب الاسماء واللغات » ٢٢٤/٢

(٥) « تهذيب تاريخ ابن عساكر » ٢٤٤/٦

(٦) « تاريخ بغـــداد » ٥٥/٩

(٧) « تهذيب الاسماء » ٢٢٤/٢

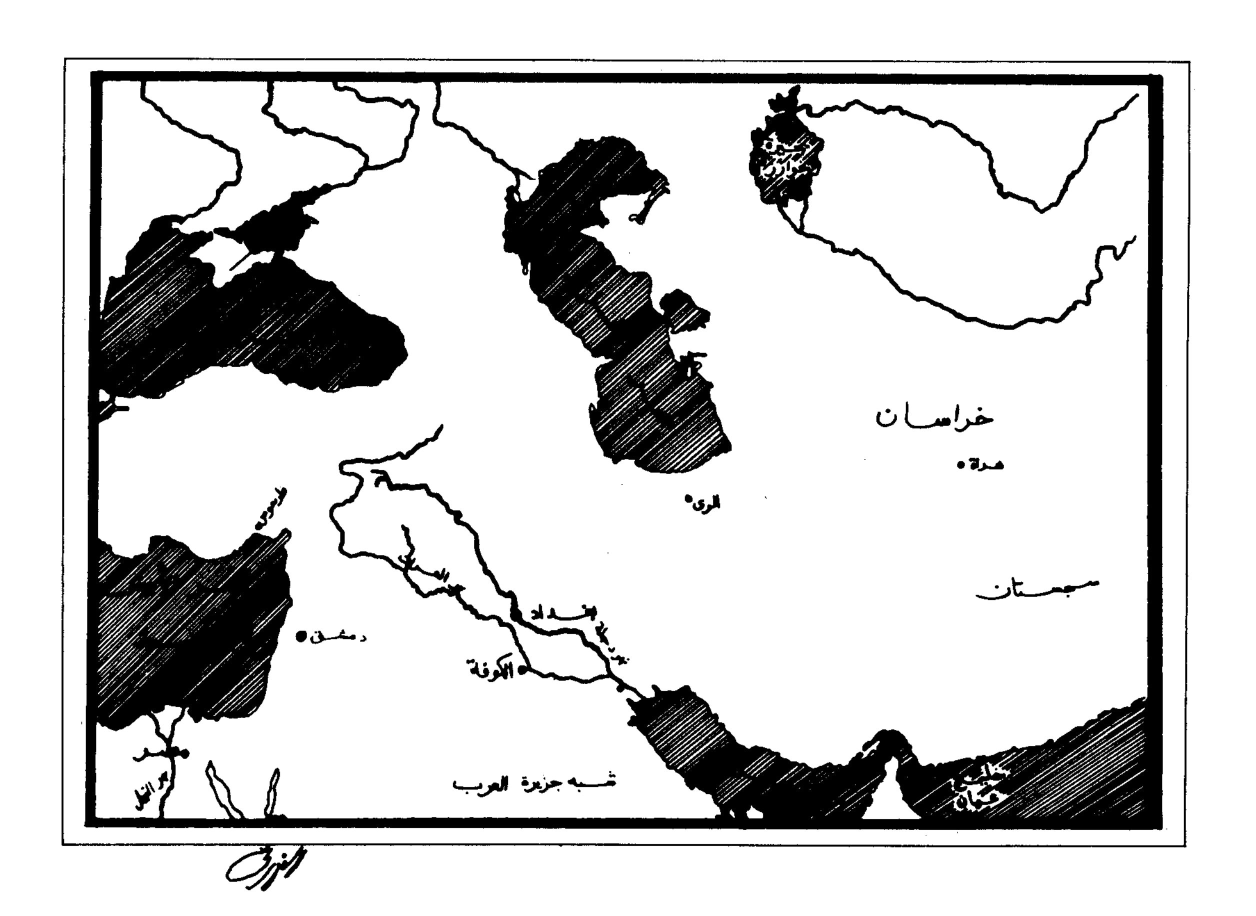
(٨) « تهذيب ابن عساكر » ٢٤٤/٦

(٩) اخطاء بروكلمان حيث دعاه خليفة ١٨٦/٣ · ووهم سزكين فدعـاه(الخليفة الواثق) ص ٣٨٢ ، والموفق هو طلحة بن جعفر المتـــوكل امير مظفر وقائد محنك حجر على اخيه الخليفة المعتمد واستبدبالامر دونه وتولى خلال خلافة المعتمد سنة ٢٧٨ : وانظـر « تاريـــخ الخلفاء » للســيوطي ص ٣٦٦

(١٠) « طبقات الحنابلة » ١٦٢/١ و « طبقات الشافعية » ٢٩٣/٢ و« معالم السنن » ١٢/١ وانظر خبر فتنة الزنج وتدمير البصرة سنة ٢٥٧ في « تاريخ الطبرى » ٤٨١/٩ وما بعدها . وفيخراب البصرة ورثائهاانشا ابن الرومي قصيدته المشهورة التي يقول في مطلعها :

ذاد مقلتـي لذيذ المنـــام

شـــغلها عنه بالدمـوع الســجام


خراسان
هراة
الري
سجستان
بغداد
الكوفة
دمشق
شبه جزيرة العرب

وهذا الخبر يدل على أن شهرة أبي داود قد طبقت الآفاق ، فالناس يعرفون له قدره وفضله وشهرته، وأحسّت الدولة بذلك فطلبت إليه أن يرحل إلى البصرة البلدة المنكوبة لتعود إليها الحياة ولتعمر من جديد . وفي هذا دلالة على طبيعة حضارتنا ومنزلة العلم والعلماء فيها ، فإن سكنى مثل أبي داود فيها كان العلاج لردّ العمران إلى بلد مخرّب مهجور. وهكذا فقد وفق الله أبا داود أن يكون شخصية علمية مرموقة في عصره كان لها أكبر الأثر على الناس في عصره والعصور التي تلت .

× × ×

علمه

كان أبو داود أحد حفاظ الإسلام ، وكان من أوسع العلماء معرفة بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وفقهه وعلله ومتونه ورجاله .

ويبدو أن علماء عصره كانوا يعرفون مكانته العلمية الكبرى ويقدرونه حق قدره ؛ يدل على ذلك عدد من الأخبار :

منها ما ذكروا من أنّ أحمد بن حنبل روى عنه حديثاً ، وكان أبو داود شديد الاعتزاز به .

ومنها ما ذكروا من أن سهل بن عبدالله التسرّي جاء إلى أبي داود .

فقيل : يا أبا داود هذا سهل جاءك زائراً ، فرحّب به وأجلّه .

فقال له سهل : يا أبا داود لي إليك حاجة .

قال : وما هي ؟

قال : حتّى تقول قد قضيتها مع الإمكان .

قال : قد قضيتها مع الإمكان .

قال : أخرج إليّ لسانك الذي حدثت به أحاديث رسول اللهصلى الله عليه وسلم حتّى أقبله ، فأخرج إليه لسانه فقبله (١) .

وكان علمه متعدد الجوانب ، فهو — مع تخصصه في الحديث — فقيه عظيم ، وقد عدّه الشيخ أبو الحسن الشيرازي في طبقات الفقهاء من جملة أصحاب أحمد بن حنبل ، وكذا أبو يعلى في « طبقات الحنابلة » والعليمي في « المنهج الأحمد » (٢) .

---

(١) « مختصر المنذري » ١/٧ ـ ٨ و « تهذيب التهذيب » ٤/١٧٢» ووفيات لأعيان » ٢/٤٠٤

(٢) « طبقات الحنابلة » ١/١٦٢ و « المنهج الأحمد » ١/١٧٥ و « معجم سركيس » ٣٠٩.

وأبو داود **ناقد كبير** ، وليس هذا غريباً على إمام من أئمة الحديث ، لأن هذا العلم يربي في أتباعه **حاسة النقد** ، وقد استطاع أن يبلغ مستوى راقياًمن رهافة الحسّ ودقة النقد ، وسنرى في دراستنا لكتاب « السنن » نماذج من نقده العميق ، ولكنني هنا أود أن أشير إلى مجال سبق إليه أبو داود ويحسب بعض الباحثين أنه جديد وأنّ الأقدمين لم يعرفوه ، وذلك هو **نقد الكتابة وتقدير عمرها بالنسبة الى الحبر القديم والحديث** ، يدل على ذلك خبر جاء في كتاب « الميزان » للحافظ الذهبي وهو :

(قال زكريا بن يحى الحلواني : رأيت أبا داود السجستاني قد جعل حديث يعقوب بن كاسب وقايات (١) على ظهور كتبه ، فسألته عنه فقال : رأينا في مسنده أحاديث أنكرناها ، فطالبناه بالأصول ، فدافعنا ، ثم أخرجها بعد ، **فوجدنا الأحاديث في الاصول مغيرة بخط طري ؛ كانت مراسيل فاسندها وزاد فيها**)(٢)

وتقدير العمر بالنسبة للحبر أمر يتصل بتقدير العمر بالنسبة إلى الورق ولا أستبعد أن تكون هناك حوادث من هذا القبيل في حياة صاحبنا العلمية ، والله أعلم .

ومما يدل على مكانته العلمية ثناء العلماء عليه وسنذكر بعضه في الفقرة الآتية :

× × ×

ثناء العلماء عليه

كان الثناء عليه من قبل المعاصرين له والذين جاؤوا من بعده مُنصباً على ناحيتين :
سعة علمه ودقة تحقيقه .
وكرم أخلاقه وتقواه .

فلقد كان ـ رحمه الله ـ مثلا عالياً في صفتّي المحدث القوي وهما العدالة والضبط .

وسنورد شذرات من أقوالهم .

١ ـ قال ابو بكر الخلال: (٣)

أبو داود سليمان بن الأشعث ، الإمام المقدّم في زمانه رجلٌ لم يسبقه إلى معرفته بتخريج العلوم ، وبصره بمواضعها احدٌ في زمانه ، رجل ورع مقدم (٤).

---

(١) اي اغلفة يغلف بها الكتب

(٢) « الميـــزان » للذهبي ٤٥١/٤

(٣) هو احمد بن محمد بن هارون البغدادى الحنبلي له كتب كثـيرةوقد جمع علم أحمد توفي سـنة ٣١١ هـ انظـر ترجمته في « تذكرة الحفاظ » ٧٨٥ و « المنهج الاحمد » : ٥/٢ وطبقات الحنابلـة١٢/٢ و « البداية والنهاية » ١٤٨/١١

(٤) « تاريخ بغداد » ٥٧/٩ و « تهذيب التهذيب » ١٧٢/٤ « تهذيبابن عساكر » ٢٤٤/٦

[٢] – وقال احمد بن محمد بن ياسين الهروي(١):
سليمان بن الأشعث أبو داود السجزي ، كان أحد حفاظ الاسلام لحديث رسول الله وعلمه وعلله وسنده ، في أعلى درجة النسك والعفاف والصلاح والورع ، كان من فرسان الحديث (٢) .

[٣] – وقال ابراهيم الحربي (٣):
ألين لأبي داود الحديث كما ألين لداود النبي عليه السلام الحديد (٤) .

[٤] – وهذه الكلمة رويت أيضاً عن أبي بكر الصغاني (٥) .

[٥] – وقال موسى بن هارون الحافظ(٦) :
خلق أبو داود في الدنيا للحديث ، وفي الآخرة للجنة . ما رأيت أفضل منه (٧) .

[٦] – وقال علان بن عبد الصمد :
كان من فرسان هذا الشأن (٨)

[٧] – وقال أبو حاتم بن حبان(٩):
كان أحد أئمة الدنيا فقهاً وعلماً وحفظاً ونسكاً وورعاً وإتقاناً ، جمع وصنف وذبّ عن السنن(١٠).

[٨] – وقال أبو عبدالله بن منده(١١):
الذين أخرجوا وميزوا الثابت من المعلول والخطأ من الصواب أربعة : البخاري ومسلم ، وبعدهما أبو داود والنسائي (١٢) .

[٩] – وقال الحاكم(١٣):
أبو داود إمام أهل الحديث في عصره بلا مدافعة (١٤) .

---

(١) هو أحمد بن محمد بن ياسين الهروي الحداد ابو اسحاق توفي سنة ٣٣٤ انظر ترجمته في « شذرات الذهب » ٢/٣٣٥
(٢) « تاريخ بغداد » ٩/٥٧ « و « مختصر المنذري » ١/٧ و « تهذيب التهذيب » ٤/١٧٢ و « تهذيب ابن عساكر » ٦/٢٤٤ .
(٣) هو ابراهيم بن اسحاق الحربي البغدادي كان حافظا فقيها زاهدا توفي ببغداد سنة ٢٨٥ (انظر « معجم الادباء » ١/٣٧ و « المنهج الاحمد » ١/١٩٦ « وتاريخ بغداد » ٦/٢٧ و « طبقات الحنابلة » ١/٨٦ و « شذرات الذهب » ٢/١٩٠ و « تذكرة الحفاظ » ٥٨٤) .
(٤) « البداية والنهاية » ١١/٥٥ « طبقات الشافعية » ٢/٢٩٣ « تذكرة الحفاظ » ٥٩١ « تهذيب التهذيب » ٤/١٧٢ « مختصر المنذري » ١/٥ « معالم السنن » ١/١٢ و « المنهج الاحمد » ١/١٧٥ .
(٥) هو الحافظ محمد بن اسحاق محدث بغداد الامام الثقه توفي سنة ٢٧٠ هـ وانظر «تاريخ بغداد » ١/٢٤١ و « تذكرة الحفاظ » ٥٧٣)
(٦) هو الحافظ موسى بن هارون الحمال البغدادي البزاز توفي سنة ٢٩٤ هـ وانظر « تذكرة الحفاظ » ٦٦٩)
(٧) « طبقات الشافعية » ٢/٢٩٣ « تهذيب التهذيب » ٤/١٧٢« تهذيب ابن عساكر » ٦/٢٤٤
(٨) « تهذيب التهذيب » ٤/١٧٢ « تهذيب الاسماء واللغات » ٢/٢٢٤
(٩) هو ابو حاتم محمد بن حبان البستي الشافعي صاحب « الصحيح » توفي سنة ٣٥٤ هـ
(١٠) « تهذيب التهذيب » ٤/١٧٢ و « الخلاصة » للخزرجي ص ١٢٧
(١١) هو ابو عبد الله محمد بن اسحاق بن منده الحافظ المتوفي سنة ٣٩٦ هـ
(١٢) « تهذيب التهذيب » ٤/١٧٢
(١٣) هو محمد بن عبد الله بن محمد الحاكم النيسابوري صاحب « المستدرك » ولد سنة ٣٢١ وتفقه على مذهب الشافعي توفي سنة ٤٠٥
(١٤) « تهذيب التهذيب » ٤/١٧٢

١٠ ـ وقال محمد بن مخلد(١):
كان أبو داود يفي بمذاكرة مائة ألف حديث وأقرّ له أهل زمانه بالحفظ (٢) .

١١ ـ وقال ابن ماكولا (٣) :
هو إمام مشهور (٤) .

١٢ ـ ١٣ ـ وكان إبراهيم الأصبهاني وأبو بكر بن صدقة (٥) يرفعان من قدره بما لا يذكران أحداً في زمانه مثله (٦) .

١٤ ـ وقال الذهبي(٧) :
وبلغنا أنّ أبا داود كان من العلماء حتى إن بعض الأئمة قال : كان أبو داود يشبه بأحمد بن حنبل في هديه ودله وسمته ، وكان أحمد يشبه في ذلك بوكيع ، وكان وكيع يشبه في ذلك بسفيان ، وسفيان بمنصور ومنصور بإبراهيم ، وإبراهيم بعلقمة، وعلقمة بعبدالله بن مسعود . وقال علقمة : كان ابن مسعود يشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم في هديه ودله (٨) .
ولم يرض السبكي في «طبقاته» أن يمضي بالسلسلة إلى نهايتها ، بل اختار الوقوف عند ابن مسعود(٩)

ونقل ابن العماد عن الذهبي أيضاً قوله في أبي داود :
كان رأساً في الحديث ، رأساً في الفقه ، ذا جلالة وحرمة وصلاح وورع حتى إنه كان يشبه بأحمد(١٠).

١٥ ـ وقال ابن الجوزي (١١) :
كان عالماً حافظاً عارفاً بعلل الحديث ، ذا عفاف وورع وكان يشبه بأحمد بن حنبل (١٢) .

وسيمر بنا عند الكلام على «السنن» مزيد من الثناء على أبي داود وشهادات أهل العلم بفضله .

---

(١) هو محمد بن مخلد بن حفص الامام مسند بغداد ، عاش ٩٨ سنة وتوفي سنة ٣٣١ هـ (انظر « تذكرة الحفاظ » ٨٢٨)
(٢) « تهذيب التهذيب » ٤/١٧٢
(٣) هو الامير الحافظ ابو نصر على بن هبة الله مصنف « الاكمال » ولد سنة ٤٢٢ وقتله مماليكه الاتراك سنة ٤٨٦ وقيل : سنة ٤٧٥
(٤) « تهذيب ابن عساكر » ٦/٢٤٤
(٥) هو الامام الحافظ ابو بكر أحمد بن محمد بن عبد الله بن صدقه البغدادي توفي سنة ٢٩٣
(٦) « تهذيب ابن عساكر » ٦/٢٤٤ و « تهذيب التهذيب » ٤/١٧١
(٧) هو الامام الحافظ مؤرخ الاسلام الناقد محمد بن عثمان الذهبي الشافعي الدمشقي توفي سنة ٧٤٨ هـ
(٨) « تذكرة الحفاظ » ص ٥٩٢
(٩) « طبقات الشافعية » ٢/٢٩٦
(١٠) « شذرات الذهب » ٢/١٦٧
(١١) هو عبد الرحمن بن علي امام مشهور كثير التصنيف توفي سنة ٥٩٧
(١٢) « المنتظم » ٥/٩٧

أساتذته

إن الحديث عن أساتذته لا يتسع له صدر هذا المقال لأنّ عددهم كبير ، وقد ذكر ابن حجر أن شيوخه في « السنن » وغيرها من كتبه نحوٌ من ٣٠٠ نفس (١) .

وقد ألف العلماء في شيوخه المؤلفات ، وكل كتب الرجال التي تحدثت عن رجال الكتب الستة تحدثت عن أساتذة أبي داود وسنورد أسماء بعضهم فيما يلي .

فمنهم: أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، وعثمان بن أبي شيبة ، واسحاق بن راهويه، وأبوعمرو الحوضي ، ومسلم بن ابراهيم ، وسليمان بن حرب ، وأبو الوليد الطيالسي ، وموسى بن اسماعيل المنقري التبوذكي ، وعبدالله بن مسلمة القعنبي ، وهناد بن السري ، ومخلد بن خالد ، وقتيبة بن سعيد، ومسدّد بن مسرهد، ومحمد بن بشار، وزهير بن حرب، ومحمد بن المثنى ، وعمرو بن محمد الناقد، وسعيد ابن منصور، وحميد بن مسعدة، وحفص بن عمر وهو أبو عمر الضرير، (٢) وتميم بن المنتصر، وحامدبن يحيى ، وإسحاق بن إسماعيل الطالقاني .

ولن نستطيع أن نترجم لهؤلاء جميعاً وقد تعمدت أن أذكر المشهورين لتغني شهرتهم عن التعريف بهم .

وليس غريباً أن يكون عدد من اساتذته عمالقة علماء أفذاذاً لأن طبيعة العصر الذي كان فيه أبو داود تقتضي أن يكون هناك نماذج من هذا النوع ، كما سبق أن أشرت إلى ذلك عند حديثي عن عصره . وكثرة الأساتذة أمر معروف معهود في تاريخنا الفكري (٣) .

وينبغي أن نخصّ واحداً من اساتذته بإشارة لا بدّ منها وهو الامام أحمد بن حنبل ، فقد تكرر ذكره كثيراً في اخبار أبي داود ، وقد اتصل به ورافقه ، وعرَض عليه « سننه » فاستجادها ، وكان يسأله أبو داود كثيراً عن أمور الدين وشؤون الحديث ، وقد بلغ من اهتمام أبي داود بأجوبة شيخه أحمد أنْ ألّف كتاباً جمع فيه الأسئلة التي ألقيت على الإمام أحمد وأجوبته عليها . وقد طبع هذا الكتاب بعنوان « مسائل أحمد ».

وذكر العلماء في ترجمة أبي داود كثيراً من هذه الأسئلة التي كان أبو داود نفسه يتوجه بها إلى الإمام أحمد ، أو الأسئلة التي كانت تطرح عليه بحضوره . فمن ذلك ما ذكره أبو يعلى أن أبا داود قال :

سمعت أحمد سئل عن القراءة في فاتحة الكتاب : (مَلِك) أو (مالكِ) ؟ يعني : أيهما أحب إليك ؟ قال : (مالك) أكثر ما جاء في الحديث (٤) فهذا سؤال سمعه فحفظه ورواه .

---

(١) «تهــذيب التهــذيب » ١٧٢/٤
(٢) ذكر الخطيب البغدادي ان آبا داود قال : صليت على عفان ببغدادسنة ٢٢٠ وسمعت من ابي عمر الضرير مجلسا واحدا (« تاريخ بغداد » ٥٥/٩)
(٣) انظر كلامي في فائدة تعدد الاساتذة في مقدمة «الباعث على الخلاص»ص ٩٢ ، ٩٣
(٤) « طبقات الحنابلة » ١٦١/١

ونجده يصرح أحياناً بأنه هو الذي سأل الإمام أحمد كما في المثال الآتي :

قال أبو داود : قلت لأبي عبدالله أحمد بن حنبل: أرى رجلا من أهل السنة مع رجل من أهل البدعة أترك كلامه ؟

قال : لا ، أو تُعلمَهُ أنّ الرجل الذي رأيته معه صاحب بدعة. فإن ترك كلامه فكلّمه، وإلاّ فألحقه به. قال ابن مسعود : «المرء بخدنه» (١) .

وكثيراً ما يذكر في كتابه «السنن» مثل هذه الأسئلة التي كان يتوجه بها إلى الإمام أحمد (٢) . وقد ينقل قوله دون أن يكون هذا القول جواباً لسؤال سائل كما ذكر أبو يعلى :

قال أبو داود : سمعت أبا عبدالله يقول : من قال إنّ الله لا يُرى في الآخرة فهو كافر(٣) . وهذا كثير الورود في «السنن» أيضاً .

ويظهر أن إعجابه البالغ بأحمد وحُبّه الكبير له كان يحمله على أن يتشبّه به حتى رأينا بعض العلماء يذكر تشبهه بأحمد ، وهذا مشاهد عند الطلبة المعجبين بأستاذهم ، فتراهم يقلدونه حتى في نبرات صوته وسلوكه ومظهره .

× × ×

تلاميذه

روى عنه خلقٌ كثير من العلماء الأئمة ؛ نذكر المشهورين منهم ، من أمثال الامام أحمد بن حنبل الذي روى عنه حديثاً واحداً كان أبو داود يعتزّ بذلك جداً (٤) .

ومنهم الامام أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، والامام أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي، والامام أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال ، ومنهم اسماعيل بن محمد الصفار ، وأبو بكر بن داود الأصفهاني ، وحرب بن اسماعيل الكرماني ، وأبو عوانة الاسفراييني ، وزكريا الساجي ، وأبو بشر محمد بن أحمد الدولابي، ومحمد بن نصر المروزي ، وأبو بكر محمد بن يحيى الصولي .

---

(١) « طبقات الحنابلة » ١/١٦٠ و « المنهج الاحمد » ١/١٧٥
(٢) انظر فصل تعليقات أبي داود في دراستنا هذه .
(٣) « طبقات الحنابلة » ١/١٦١
(٤) « تاريخ بغداد » ٩/٥٥ و « الخلاصة » ص ١٢٧

ومن تلامذته رواة السنن عنه وعددهم تسعة ذكر الذهبي (١) والسبكي (٢) سبعة منهم . وزاد ابن حجر راويين هما أبو الطيب أحمد بن إبراهيم بن عبدالرحمن الأشناني ، وأبو عيسى اسحاق بن موسى بن سعيد الرملي ورّاقه . أما الرواة السبعة الذين ذكرتهم معظم المصادر فهم :

– أبو علي محمد بن أحمد بن عمرو اللؤلؤي .
– وأبو بكر محمد بن بكر بن عبدالرزاق بن داسة التمار .
– وأبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد الأعرابي .
– وأبو الحسن علي بن الحسن بن العبد الأنصاري
– وأبو أسامة محمد بن عبدالملك الرؤاسي .
– وأبو سالم محمد بن سعيد الجلودي .
– وأبو عمرو أحمد بن علي بن الحسن البصري .

× × ×

وضعه الاجتماعي والمنزلي

كان الرجل يتمتع بمنزلة اجتماعية مرموقة ، وقد اكتسب شهرة قليلة النظير ، وشاع كتابه في حياته، وكان الطلبة يؤمّون منزله من كل مكان .

وكانت له مخالطة طيبة للعلماء في كل الأمصار ، ويكفينا في الدلالة على ذلك ما ذكرناه في مبحث أساتذته ، كما كانت له صلة قائمة على الاحترام مع الحكام،ويكفينا في الدلالة على ذلك آن يقوم رجل الدولة الاول الموفق بزيارته وأن يطلب منه ما يطلب لعمارة البصرة كما أشرنا . وكان الرجل متزوجاً وله أولاد من أشهرهم ابنه عبدالله .

ويبدو أنه كان حريصاً أشد الحرص على أن يطلب أولاده العلم في وقت مبكر ، ولذلك فقد كان يأخذهم معه ليحضروا مجالس العلم وليسمعوا .

نقل ياقوت عن ابن عساكر خبراً يرويه عن الحسن بن بندار قال : (كان أحمد بن صالح (٣) يمتنع

---

(١) « طبقات الحفاظ » ٥٩١
(٢) « طبقات الشافعية » ٢/٢٩٣
(٣) هو الامام الحافظ ابو جعفر احمد بن صالح الطبري ثم المصري أحد الاعلام ، حدث عنه البخاري وابو داود توفي سنة ٢٤٨ وانظر ترجمته في « تذكرة الحفاظ » ٢/٤٩٥

على المرد من رواية الحديث لهم تعففاً وتنزهاً ونفياً للمظنة عن نفسه . وكان أبو داود يحضر مجلسه ويسمع منه ، وكان له ابنٌ أمرد يحبُّ أن يسمع حديثه، وعرف عادته في الامتناع عليه من الرواية، فاحتال أبو داود بأن شدّ على ذقن ابنه قطعة من الشعر ليتوهم أنه ملتحٍ ، ثم احضره المجلس وأسمعه جزءاً .

فأخبر الشيخ بذلك ، فقال لأبي داود : أمثلي يعمل معه هذا ؟

فقال له : أيها الشيخ لا تنكر عليّ ما فعلته واجمع أمردي هذا مع شيوخ الفقهاء والرواة فإن لم يقاومهم بمعرفته فاحرمه حينئذٍ من السماع عليك .

قال : فاجتمع طائفة من الشيوخ، فتعرض لهم هذا الأمرد مطارحاً، وغلب الجميع بفهمه، ولم يرو له الشيخ مع ذلك من حديثه شيئاً . وحصل له ذلك الجزء الأول) (١) .

وذكروا في بعض أخباره ما ينبيء عن اتخاذه بعض الخدم، ومنهم أبو بكر بن جابر خادمه الذي روى حديث مقابلة الموفق له (٢) .

× × ×

أخلاقه وصفاته

كان أبو داود رجلاً كبيراً ذا خلق كريم . كان صالحاً عابداً ورعاً ، وكان ذكياً مجداً دؤوباً كثير الاحتمال لمشاق الارتحال وطلب العلم ، وكان يقظاً شديد الانتباه يعرف الناس على حقيقتهم ولا تنطلي عليه وسائل الخداع ، وكان أبياً كريم النفس، وكان جريئاً في الحق أميناً على رسالة العلم قائماً بحق الدين . وسأورد فيما يلي أخباراً تدل على صراحته في الحق وجرأته في قوله، لا يخاف في ذلك لومة لائم ، وسيمر بنا أيضاً في دراسة «السنن» أمثلة عديدة على ذلك في موضوع جرح الرجال .

وقد خصصت هذا الخلق بالبيان لأنه الخلق الذي اعتقد أنه من أهم صفات العلماء ، ولأنّ الناس يعانون الكثير من فقد هذا الخلق في حياتهم وعند نفر من العلماء، ويشهدون كم تجر المجاملة التي يتصف بها كثير من الناس من الويلات على الدين والعلم والحق .

---

(١) « معجم البلدان » ١٩٢/٣ طبعة بيروت سنة ١٣٧٦ هـ ـ ١٩٥٧ م
(٢) « طبقات الحنابلة » ١٦٢/١ و « طبقات الشافعيـــة » ٢٩٣/٢ و « معالم السنن » ١٠/١ : وتهذيب ابن عساكر » ٢٤٤/٦

والعلماء يمثلون القيادة الفكرية للأمة ، والقوة الموجهة التي تحول بين الجماهير والانحراف والفساد ، فإذا فقدوا فضيلة الصراحة في الحق والجرأة في القاء الكلمة المؤمنة الصادقة كان إيذاء ذلك شديداً .

وكانت عاقبة ذلك دماراً للأمة ولكل معاني الخير فيها .

فمن أجل ذلك رأيت أن أضرب بعض الأمثلة على أصالة هذا الخلق العظيم في سيرة هذا الإمام العظيم : ذكر أبو يعلى (أنّ محمد بن علي الآجري قال :

قلت لأبي داود : أيهما أعلى عندك : علي بن الجعد أو عمرو بن مرزوق ؟
قال : عمروٌ أعلى عندنا . عليٌ بن الجعد وُسِمَ بميسم سوء قال : « وما يسؤوني أن يعذب الله معاوية »
وقال : « ابن عمر ذاك الصبي ») (١) .

فأبو داود يعلن رأيه بصراحة،ويجرح علي بن الجعد ويذكر سبب الجرح وهو وقوعه في الصحابة ، إذ أن كلمته في معاوية تدل على شيء من الكراهية لبعض الصحابة أو عدم اهتمام على أقل تقدير،وذلك عندما يقرر أنه لا يسؤوه أن يعذب الله معاوية رضي الله عنه ، وكذلك فإنّ قوله عن ابن عمر إنه صبي فيه ما يدل على قلة احترام للصحابة وعلى التهوين من شأنهم .

✖ ✖ ✖

ومن الأمثلة الرائعة على جرأته في الحق ومواجهته الحكام بما يعتقد سواء وافق رغبتهم أم لم يوافق مارواه خادمه أبو بكر بن جابر الذي قال :

كنت معه ببغداد ، فصلينا المغرب إذ قرع الباب ، ففتحتُه فإذا خادم يقول : هذا الأمير أبوأحمد الموفق يستأذن . فدخلت إلى أبي داود فأخبرته بمكانه،فأذن له ، فدخل ، وقعد ، ثم أقبل عليه أبو داود وقـال :

– ما جاء بالأمير في مثل هذا الوقت ؟

– فقال : خلال ثلاث .

– فقال : ومـا هي ؟

– قال : تنتقل إلى البصرة فتتخذها وطناً ليرحل إليك طلبة العلم من أقطار الأرض فتعمر بك ، فإنها قد خربت ، وانقطع عنها الناس لما جرى عليها من محنة الزنج .

---

(١) « طبقات الحنابلـة » ١/١٥٩

– فقال : هذه واحدة . هات الثانية .

– قال : وتروي لأولادي كتاب «السنن» ؟

– فقال : نعم . هات الثالثة .

قال : وتفرد لهم مجلساً للرواية ، فإنّ أولاد الخلفاء لا يقعدون مع العامة .

فقال : أما هذه فلا سبيل إليها ، لأنّ الناس شريفهم ووضيعهم في العلم سواء .

قال ابن جابر : فكانوا يحضرون بعد ذلك ويقعدون وبينهم وبين الناس ستر فيسمعون مع العامة (١) .

ومن الأمثلة التي تدل على جرأته وقوله الحق دون مراعاة لقرابة أو صلة موقفه من ابنه أبي بكر عبد الله صاحب التصانيف .

فقد قال عنه : «ابني عبدالله كذّاب» (٢).

✖ ✖ ✖

ملابس

يبدو أنّ الرجل كان يخترع في كيفية خياطة الملابس ما يتلاءم وحياته ، فهو قد وقف نفسه على العلم، فكل ما يساعده من اللباس على حمل الكتب واصطحابها فهو اللباس الجيد ، لأن العلم أضحى عنده هو كل شيء؛ ذكروا أنه كان له كم واسع وضيق ، ولما سئل قال : الواسع للكتب والآخر لا نحتاج إليه (٣) .

وما سأله السائل عنه إلا لأنه شيء غريب لم يؤلف .

✖ ✖ ✖

(١) «طبقات الحنابلة» ١٦٢/١ «طبقات الشافعية» ٢٩٣/٢ و«معالم السنن» ١٠/١ و«تهذيب ابن عساكر» ٢٤٤/٦
(٢) «الميزان» ٤٣٣/٢
(٣) «وفيات الاعيان» ٤٠٤/٢ و«تهذيب ابن عساكر» ٢٤٤/٦

أقواله

كان الرجل حكيماً، وليس ذلك بمستغرب على من اجتمعت فيه هذه الأوصاف التي أشرنا إليها آنفاً ، وصاحب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم جدير بأن تفيض الحكمة على لسانه .

وقد ذكرت الكتب التي ترجمت له بعض هذه الجمل المأثورة الجميلة. فمن ذلك قوله :

الشهوة الخفية حب الرئاسة.(١)

وقوله :

خير الكلام ما دخل الأذن بدون اذن(٢).

وقوله :

من اقتصر على لبأس دون ومطعم دون اراح جسده (٣)

وهذه الأقوال وغيرها مما يدل على حكمة رصينة انتهى إليها المؤلف بعد علم ونظر وتمرس بالحياة الفاضلة .

ومما يدل على سيرته وعلى بصره بالعلم العملي وفقهه الحق في الدين قوله متحدثاً عن كتابه السنن (جمعت فيه أربعة الآف وثمانمائة حديث ، ذكرت الصحيح وما يشبهه وما يقاربه . ويكفي الإنسان لدينه من ذلك أحاديث أحدها قوله صلى الله عليه وسلم : (**الاعمال بالنيات**) .

وقوله صلى الله عليه وسلم (**من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه**)

والثالث قوله صلى الله عليه وسلم (لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يرضى **لاخيه ما يرضاه لنفسه**)

والرابع قوله صلى الله عليه وسلم (الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور مشتبهات) (٤) .

✖ ✖ ✖

وفاته

توفي أبو داود رحمه الله يوم الجمعة ١٥ شوال من سنة ٢٧٥ بالبصرة ، ودفن إلى جانب قبر سفيان الثوري بعد أن قدّم خدمات جليلة لدينه وأمته وللثقافة الاسلامية .

---

(١) « تاريخ بغداد » ٥٨/٩ و « المنتظم » ٩٧/٥ و « وفيات الاعيان » ٤٠٤/٢ و « تهذيب ابن عساكر » ٢٤٤/٦

(٢) « تذكرة الحفاظ » ص ٥٩١

(٣) « تهذيب ابن عساكر » ص ٤٤/٦

(٤) وسيمر بنا هذا القول ص ٢٣٨ : والحقيقة ان هذه الاحاديث من النصوص الثابتة التي جمعت صنوف الخير وأصول الاحكام واسباب السعادة الدينية والدنيوية



١ – المراسيل :

وقد طبع في القاهرة سنة ١٣١٠ هـ .
ومخطوطاته موجودة في تركيا ومصر وغيرهما، وقد ذكرها سزكين في « تاريخ التراث العربي»(١).

٢ – مسائل الامام أحمد :

وهي مرتبة على أبواب الفقه ، يذكر فيها أبو داود السؤال الموجّه لأحمد وجوابه عليها ، وهو كتاب جليل من الناحية الفقهية ينقل لنا بدقة وأمانة آراء الامام أحمد بن حنبل،وطبع في القاهرة بتحقيق السيد رشيد رضا ، وأعيد تصويره في بيروت مؤخراً .

وقد ذكرته معظم الكتب التي ترجمت لأبي داود أو عنيت باحصاء تراثنا الاسلامي (٢) وذكرابن حجر أن أبا عبيد محمد بن علي بن عثمان الآجري الحافظ هو راوي المسائل عنه (٣) .

٣ – الناسخ والمنسوخ :

ذكر ابن حجر أن راوي هذا الكتاب عنه (٣) أبو بكر أحمد بن سليمان النجار . ونقل السيوطي عن هذا الكتاب (٤) وذكره اسماعيل البغدادي بعنوان « ناسخ القرآن ومنسوخه » (٥)

٤ – إجاباته عن سؤالات أبي عبيد محمد بن علي بن عثمان الآجري :

قال ابن كثير : ولأبي عبيد الآجري عنه « أسئلةفي الجرح والتعديل والتصحيح والتعليل» كتاب مفيد(٦)

وذكرها سزكين بعنوان : « سؤالات أجاب عنها أبو داود في معرفة الرجال وجرحهم وتعديلهم» وذكر أنها موجودة في كوبريلي وباريس (٧) . وذكر أن ابن حجر استخدم هذه الرسالة كثيراً في « تهذيب التهذيب » (٧) .

---

(١) انظر « تاريخ التراث العربي » ص ٣٨٨
(٢) انظر « هدية العارفين » ١/٣٩٥
(٣) « تهذيب التهذيب » ٤/١٧٠
(٤) « تحذير الخواص » ص ١٩١
(٥) « هدية العارفين » ١/٣٩٥
(٦) « مختصر علوم الحديث » لابن كثير ص ٤١
(٧) « تاريخ التراث العربي » لسزكين ص ٤١٧

٥ - رسالته في وصف كتاب «السنن» :

وحققتها ونشرتها في مجلة اضواء الشريعة في الرياض العدد الخامس سنه ١٣٩٤ هـ ثم نشرتها مفردة دار العربية في بيروت ، وقد سبق أن نشرت في مصرسنة ١٣٦٩ ومخطوطتها في المكتبة الظاهرية في دمشق(١) .

٦ - كتاب الزهد :

وتوجد منه نسخة بالقرويين بفاس كما أشار إلى ذلك الأستاذ سزكين (٢) .

٧ - تسمية الاخوة الذين روي عنهم الحديث :

وهي رسالة من ثماني ورقات محفوظة في المكتبة الظاهرية بدمشق، وهي من رواية السّلفي، ومكتوبة بخط مغربي كما ذكر ذلك الأستاذ ناصر الدين الألباني (٣) وذكر الأستاذ أكرم العمري هذه الرسالة بعنوان «تسمية الأخوة من أهل الأمصار» وقال :

(وقد استفاد أبو داود في تصنيف رسالته «تسمية الأخوة» مما قرأه في كتاب علي بن المديني بخطه ، كما استفاد من طريقته في تنظيم المادة ، فنجده يرتب الاخوة الذين روي عنهم الحديث على المدن، وقد اكتفى أبو داود بتجريد الأسماء ولم يقتصر على ذكر الصحابة ، بل ذكر من تلاهم أيضاً) (٤) .

وذكر الاستاذ العمري في تعليقه في الصفحة نفسها(٤) أن الرسالة تقع في ٧ ورقات وأن الورقة ٢٤سطراً وأنها مكتوبة بخط ناعم ، وذكر سزكين أنها مكتوبة في القرن السادس الهجري (٥).

٨ - أسئلة لأحمد بن حنبل عن الرواة والثقات والضعفاء :

قال الأستاذ الشيخ محمد ناصر الدين الألباني :

(رتبت أسماؤهم على أسماء بلادهم ، ثقات مكة، ثقات المدينة ... ، وينتهي بضعفاء المدينة.) (٣)
وهي نسخة ناقصة من أولها ، وموجودة في الظاهرية(٣) .

٩ - كتاب القدر :

وذكر ابن حجر في «تهذيب التهذيب» باسم «الردّ على أهل القدر» وذكر أن راوي هذا الكتاب عنه أبو عبدالله محمد بن أحمد بن يعقوب المتوفى البصري (١) .

---

(١) «فهرس مخطوطات الظاهرية» للشيخ محمد ناصر الدين الالباني ص ١٦١
(٢) «تاريخ التراث العربي» ص ٣٨٨
(٢) «تاريخ التراث» ص ٣٨٨
(٣) «فهرس مخطوطات الظاهرية» ص ١٦١
(٤) «بحوث في تاريخ السنة» ص ٦٥
(٥) «تاريخ التراث العربي» ص ٣٨٨
(٦) «تهذيب التهذيب» ٤/١٧٠

وقال سزكين : اقتبس منه ابن حجر في كتابه «الاصابة» (١) .

١٠ - كتاب البعث والنشور :
ذكره بروكلمان وذكر أنه موجود في دمشق (٢) .

١١ - المسائل التي حلف عليها الامام أحمد :
ذكره سزكين وقال : إنه موجود في دمشق (٣) .

١٢ - دلائل النبوة :
ذكره اسماعيل البغدادي (٤) وابن حجر في «تهذيب التهذيب»(٥) .

١٣ - التفرد في السنن :
ذكره اسماعيل البغدادي (٤) .

١٤ - فضائل الأنصار :
ذكره ابن حجر في مقدمة كتابه «تقريب التهذيب» (٦) .

١٥ - مسند مالك :
ذكره ابن حجر في مقدمة كتابه «تقريب التهذيب» (٦) .

١٦ - الدعاء : ذكره ابن حجر في مقدمة « تهذيب التهذيب » (٥)
١٧ - ابتداء الوحي : « « « « « « « «
١٨ - أخبار الخوارج : « « « « « « « «

---

(١) « تاريخ التراث العربي » ص ٣٨٩
(٢) « تاريخ الادب العربي » ١٨٩/٣
(٣) « تاريخ التراث العربي » ص ٣٨٨
(٤) « هدية العارفين » ٣٩٠/١
(٥) « تهذيب التهذيب » ٦/١
(٦) « تقريب التهذيب » ٧/١



سنن أبي داود

هذا الكتاب من اهم كتب الاسلام كما أسلفنا، وهو أحد الكتب الستة التي تقبلتها الأمة بقبول حسن، وسنحاول في هذا الباب دراسته والتعرف لأهم خصائصه وشروحه ومختصراته، ومن ثم نتعرف إلى منزلته.

اسم الكتاب

الاسم المعروف به هو «السنن» ويبدو أنّ المؤلف نفسه سمّاه بهذا الاسم، نستدلّ على ذلك من قوله في رسالته إلى أهل مكة.

(فإنكم سألتم أن أذكر لكم الأحاديث التي في كتاب «السنن» أهي أصح ما عرفت في الباب؟) (١)

وقوله في الرسالة المذكورة أيضاً: (وان من الاحاديث في كتابي «السنن» ما ليس بمتصل، وهو مرسل...) (٢)

وكذلك فإنّ العلماء على مرّ العصور كانوا يدعون كتابه بالسنن.

---

(١) انظر «رسالة أبي داود» بتحقيقنا ص ٢٢ نشر دار العربية بيروت

(٢) «رسالة أبي داود» ص ٣٠

ومن المفيد أن نتعرف إلى مدلول كلمة «السنن» :

السنن جمع سنة وهي لغة : الطريقة المسلوكه المتبعة . والسنة عند جمهور العلماء ترادف الحديث وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم وفعله وتقريره وصفته، وقد ذهب بعضهم إلى أن هناك فرقاً بين الكلمتين، وهو أن السنة هي الواقع العملي لمجتمع الاسلام في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة ، ويتضح هذا التفريق في مثل قول عبدالرحمن بن مهدي عندما سئل عن سفيان بن عيينة ومالك والأوزاعي .

فقال : الأوزاعي إمام في السنة وليس بإمام في الحديث ، وسفيان إمـــام في الحديث وليس بإمـــام في السنة ومالك إمام فيهما (١)

وقد فرق بعضهم بين الكلمتين تفريقاً قريباً من هذا فذهب إلى أن الحديث قـــول النبي وفعله وتقريره ووصفـه .

أما السنة فهي التي تعني حكماً تشريعياً سواء روي فيه كلام أم لا .
وهناك استعمال خاصّ للسنن وهو أوثق صلة بموضوع بحثنا ، وقد ذكره الكتّاني في كتابه القيم « الرسالة المستطرفة » فقال :

وهي في اصطلاحهم الكتب المرتبة على الابواب الفقهية من الايمان والطهارة والصلاة والزكاة ، وليس فيها شيء من الموقوف ، لان الموقوف لا يسمى في اصطلاحهم سنة ، ويسمى حديثا) (٢)

وهكذا فان كتب السنن ينبغي ان تتوافر فيها الامور الاتية :

١ ـ أن تكتفي بذكر الأحاديث والا يذكر فيها شيء من الآثار .
٢ ـ أن تكون هذه الأحاديث متعلقة بالأحكام .
٣ ـ أن ترتب الأحاديث على أبواب الفقه (٣) .

ومن هنا يتضح لنا لماذا سمّى كتابه السنن ، فذلك لأنه جمع أحاديثه من وجهة فقهية فلم يضمنه غير أحاديث الفقه والتشريع ، مما ورد في الأخلاق والأخبار والزهد ونحو ذلك(٤). قال في «رسالته إلى أهل مكة»:

(وانما لم أصنف في كتاب السنن إلا الأحكام ، ولم اصنف كتب الزهد وفضائل الأعمال وغيرها) (٥)

ونقل بعضهم ممن لا علم لديهم ولا تحقيق عن القرطبي أنه سمّى كتاب أبي داود في تفسيره «مصنف أبي داود» وما أظنه إلا أنه يريد بذلك كتابه وليست تلك تسمية جديدة .

---

(١) انظر « ترتيب المدارك للقاضي عياض ١/١٣٢ و « الزرقاني على الموطا » ١/٤ و « الحديث النبوي » لمحمد الصباغ ١٧
(٢) « رسالة المستطرفة » ص ٣٢
(٣) « الحديث النبوى » ص ١٩٩
(٤) « تاريخ الادب العربي » ٣/١٨٦
(٥) « رسالة ابي داود » ص ٣٤

وقد يطلقون على كتاب أبي داود ونحوه لفظ الصحاح ، قال حاجي خليفة ينقل عن ابن السبكي قوله في «سنن أبي داود» :

(وهي من دواوين الإسلام ، والفقهاء لا يتحاشون من اطلاق لفظ الصحاح عليها وعلى سنن الترمذي ، ولا سيما سنن أبي داود) (١)

وقد جاء في كلام لابي داود نقله محمد بن صالح الهاشمي ما قد يفيد أنه سمّاه « المسند » قال أبو داود : (أقمتُ بطرسوس عشرين سنة أكتب المسند ، فكتبتُ أربعة آلاف حديث) (٢) ولعله لا يريد بالمسند الاسم الخاص المصطلح عليه .

× × ×

هل هو أول من صنف السنن

ذهب بعضهم إلى أنّ أبا داود هو أول من صنف في السنن قال الأستاذ الكتاني : (وهو أول من صنف في السنن ، وفيه نظر يتبيّن مما يأتي) (٣)

ومهما يكن من أمر فإن من المؤكد أن أبا داود كان من السابقين إلى التأليف في هذا المجال ؛ ذلك لأن مجرد اختلاف العلماء في كونه أول من صنّف في السنن يدل بوضوح على سبقه في ذلك الصدد .

ومن الصعب دائماً الجزم بالأوليات ، ويغلب على من يتشدد ويذهب مذهباً معيناً في الجزم يغلب عليه أنه يقع في الغلط .

ويذهب الخطابي إلى أن أبا داود لم يُسبَق إلى الإجادة في جمع السنن فقال : (فأما السنن المحضة فلم يقصد واحد منهم جمعها واستيفاءها ولم يقدر على تخليصها واختصار مواضعها من أثناء تلك الأحاديث الطويلة ومن أدلة سياقها على حسب ما اتفق لأبي داود) (٤) .

وقال الخطابي أيضاً : (وقد جمع أبو داود في كتابه هذا من الحديث في أصول العلم وأمهات السنن وأحكام الفقه ما لا نعلم متقدماً ما ، سبقه إليه ولا متأخراً لحقه فيه) (٥)

× × ×

(١) « كشف الظنون » ٢/١٠٠٤ و « طبقات الشافعية »
(٢) « تهذيب الاسماء واللغات » للنووي ٢/٢٢٤ وقد سبق أن ورد هذا الخبر ص ٢٢٨ وسيرد ص ٢٣٨
(٣) « الرسالة المستطرفة » ص ١١
(٤) « معالم السنن » ١/١١
(٥) « معالم السنن » ١/١٣

ثناء العلماء على السنن

لن أستطيع الحصر ولا الاستقصاء لو أردت أن أذكر كل ما قيل في الثناء على هذا الكتاب العظيم ولذلك فسأكتفي بإيراد بعض الكلمات لأشهر العلماء :

• قال أبو زكريا الساجي :

كتاب الله أصل الإسلام ، وكتاب «السنن» لأبي داود عهد الاسلام .(١)

• وقال محمد بن مخلد :

لما صنف أبو داود «السنن» وقرأه على الناس صار كتابه لأهل الحديث كالمصحف يتبعونه ، وأقرّ له أهلُ زمانه بالحفظ فيه. (٢)

• وقال ابن الأعرابي وأشار إلى النسخة وهي بين يديه :

لو أن رجلاً لم يكن عنده من العلم إلا المصحف الذي فيه كتاب الله ثم هذا الكتاب لم يحتج معهما إلى شيء من العلم بتة. (٣)

وعلق الخطابي على كلمة ابن الأعرابي هذه فقال :

(وهذا – كما قال – لا شكّ فيه ، لأن الله تعالى أنزل كتابه تبياناً لكل شيء وقال: (ما فرطنا في الكتاب من شيء) فأخبر سبحانه أنه لم يغادر شيئاً من أمر الدين لم يتضمن بيانَه الكتابُ، إلا أن البيان على ضربين :

بيان جلي تناوله الذكر نصاً ، وبيان خفي اشتمل عليه معنى التلاوة ضمناً ؛ فما كان من هذا الضرب كان تفصيل بيانه موكولاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو معنى قوله سبحانه (لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون) فمن جمع بين الكتاب والسنة فقد استوفى وجهي البيان ، وقد جمع أبو داود في كتابه هذا من الحديث في أصول العلم وأمهات السنن وأحكام الفقه مالا نعلم متقدماً سبقه إليه ولا متأخراً لحقه فيه) (٤) .

---

(١) « تهذيب ابن عساكر » ٢٤٤/٦ « طبقات الشافعية » للسبكي
(٢) « تهذيب الاسماء واللغات » ٢٢٤/٢
(٣) « معالم السنن » ١٢/١
(٤) « معالم السنن » ١٢/١ – ١٣

• وقال الخطابي أيضاً :

(كتاب السنن لأبي داود كتابٌ شريف لم يصنف في علم الدين كتاب مثله ، وقد رزق القبول من الناس كافة فصار حكماً بين فرق العلماء وطبقات الفقهاء على اختلاف مذاهبهم فلكل فيه وِرْدٌ ومنه شِرْبٌ ، وعليه معول أهل العراق وأهل مصر وبلاد المغرب وكثير من مدن أقطار الأرض . فأما أهل خراسان فقد أولع أكثرهم بكتابي محمد بن إسماعيل ومسلم بن الحجاج (١) ومن نحا نحوهما في جمع الصحيح على شرطهما في السبك والانتقاد ، إلا أن كتاب أبي داود أحسن رصفاً وأكثر فقها) (٢) .

وقال الخطابي أيضاً :

(اعلموا أن الحديث عند أهله على ثلاثة أقسام : حديث صحيح، وحديث حسن، وحديث سقيم . فالصحيح عندهم ما اتصل سنده وعدلت نَقَلَته ، والحسن منه ما عرف مخرجه واشتهر رجاله ، وعليه مدار أكثر الحديث وهو الذي يقبله أكثر العلماء ، ويستعمله عامة الفقهاء ، وكتاب أبي داود جامع لهذين النوعين من الحديث ، فأما السقيم منه فعلى طبقات شرُّها الموضوع ثم المقلوب – أعني ما قلب اسناده – ثم المجهول ، وكتاب أبي داود خليٌّ منها بريء من جملة وجوهها ، فإن وقع فيه شيء من بعض أقسامها لضرب من الحاجة تدعوه إلى ذكره فإنه لا يألو أن يبين أمره ويذكر علته ويخرج من عهدته . وحكي لنا عن أبي داود انه قال: ما ذكرت في كتابي حديثاً اجتمع الناس على تركه ». وكان تصنيف علماء الحديث –

قبل زمان أبي داود – الجوامع والمسانيد ونحوهما ، فتجمع تلك الكتب إلى ما فيها من السنن والأحكام أخباراً وقصصاً ومواعظ وآداباً ، فأما السنن المحضة فلم يقصد واحدٌ منهم جمعها واستيفاءها ولم يقدر على تخليصها واختصار مواضعها من أثناء تلك الأحاديث الطويلة ومن أدلة سياقها على حسب ما اتفق لأبي داود ، ولذلك حلَّ هذا الكتاب عند أئمة الحديث وعلماء الأثر محل العجب فضربت فيه أكباد الابل ودامت إليه الرحل) (٣) .

• وقال أبو حامد الغزالي عن «سنن أبي داود» :

« إنها تكفي المجتهد في أحاديث الأحكام »(٤)

• وقال ابن القيم :

(لما كان كتاب «السنن» لأبي داود رحمه الله من الاسلام بالموضع الذي خصه الله به ، بحيث صار حكماً

---

(١) وهما البخاري ومسلم
(٢) « معالم السنن » ١/١٠ – ١١
(٣) « معالم السنن » ١/١١
(٤) « البداية والنهاية » /٥٥ « وحجة الله البالغة » وانظر « قواعدالتحديث » ص ٣٢٢ و « مفتاح السنة » للخولي ص ٨٥

بين أهل الاسلام ، وفصلا في موارد النزاع والخصام ، فإليه يتحاكم المنصفون ، وبحكمه يرضى المحققون ، فإنه جمع شمل أحاديث الأحكام ، ورتبها أحسن ترتيب ونظمها أحسن نظام ، مع انتقائها أحسن انتقاء، واطراحه منها أحاديث المجروحين والضعفاء) (١) .

× × ×

تأليفه

ألّف أبو داود كتابه «السنن» في وقت مبكر ،وعني بتأليفه وترتيبه عناية بالغة ، وأعاد النظر فيه مرات متعددة . هذا أمرٌ لا شك فيه .

أما كونه ألفه في وقت مبكر فيدلنا على ذلك ما ذكره مترجمو أبي داود من أنّ المؤلف روى كتابه « السنن » ببغداد ونقله عنه أهلها ، ويقال : إنه صنفه قديماًوعرضه على أحمدبن حنبل فاستجاده واستحسنه(٢) والإمام أحمد متوفى سنة ٢٤١هـ .

وقد يمكننا هذا النص أن نفهم أنه ألف الكتاب قبل أن يأتي بغداد،ولعلّه ألفه في طرسوس،لأنه جاء في أخباره أنه ألف المسند بطرسوس ومكث في ذلك مدة طويلة يبذل جهده في الاختيار والانتقاء والتبويب والترتيب . قال محمد بن صالح الهاشمي (٣) :

(قال أبو داود: أقمت بطرسوس عشرين سنة أكتب المسند ، فكتبت أربعة آلاف حديث،ثم نظرت فإذا مدار الأربعة آلاف على أربعة أحاديث لمن وفقه الله) ثم ذكر الأحاديث .

وواضح أنه يريد بالمسند كتابه « السنن » لأن قريباً من هذا النصّ نقله عنه ابن داسة مصرحاً فيه بذكر السنن (٤) ، وعدد أحاديث كتاب «السنن» قريب من هذا الرقم .

ومما يؤكد لنا أن تأليفه كان في وقت مبكر من حياته النظر في مجموع أخباره فهناك ما يدل على أن الرجل بذل بهعناية فائقةوأنفق في ذلك مدة طويلة وأنه عرض هذا الكتاب بعد تمامه على الإمام أحمدالمتوفى سنة ٢٤١ فإذا كان أبو داود قد ولد سنة ٢٠٢ واستغرق مدة عشر سنوات في تأليفه وافترضنا أنه عرضه عليه قبل وفاته بخمس سنوات ، فيكون عمر المؤلف عند ذلك بضعاً وعشرين سنة،أي في وقت النشاط والقدرة.وهذا وقت مبكر جداً .

---

(١) « تهذيب ابن القيم » ١/٨   (٢) « تاريخ بغداد » ٩/٥٥و « تهذيب التهذيب » ٤/١٧١ و « مختصر سنن ابي داود » ١/٥ و « جامع الاصول » ١/١١١

(٣) « تهذيب الاسماء واللغات » للنووي ٢/٢٢٤

(٤) انظر خبر ابن داسة فيما يأتي ص ٢٣٨ وقد سبق أن وردت هذه الأحاديث ص ٢٢٨

وأما كونه عني به عناية بالغة فهذا أمر تدل عليه دلائل كثيرة كلها تقطع بأن المؤلف بذل مجهوداً كبيراً وأنه نظر فيه ونقحه وقرأه مرات وكان يزيد فيه وينقص .

من هذه الدلائل ما ذكره راوي هذا الكتاب الإمام الحافظ أبو علي محمد بن أحمد اللؤلؤي الذي قال بعد أن روى الحديث ٩١١ ما يلي : (هذا الحديث لم يقرأه أبو داود في العرضة الرابعة)(١) وقال صاحب «عون المعبود» في شرح ذلك : (أي لما حدّث وقرأ أبو داود هذا الكتاب في المرة الرابعة لم يقرأ هذا الحديث)(٢)

ومن هذه الدلائل قول علي بن الحسن بن العبد : (سمعت كتاب السنن من أبي داود ست مرار . بقيت من المرة السادسة بقية) (٣) وفي تتمة الخبر أنه قرأها في السنة التي مات فيها وهي سنة ٢٧٥ .

أي إن المؤلف ظل يقرأ الكتاب ويذيعه في الناس مدة تقرب من أربعين سنة فلا عجب أن يكون واحد كعلي بن الحسن قد سمع منه هذا ست مرات .

ومن هذه الدلائل ما نقله أبو بكر بن داسة عن أبي داود حيث يقول :
(كتبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة ألف حديث ، انتخبت منها ما ضمنته هذا الكتاب— يعني كتاب السنن — جمعت فيه أربعة آلاف وثمانمائة حديث ذكرت فيها الصحيح وما يشبهه ويقاربه ، وما فيه وهن شديد بينته ، ويكفي الإنسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث :

أحدها : قوله (ﷺ) : « الأعمال بالنيات» .
والثاني : قوله (ﷺ) : «من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه » .
والثالث : قوله (ﷺ) : « لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يرضى لأخيه ما يرضاه لنفسه»
والرابع : قوله (ﷺ) : «الحلال بين والحرام بين ، وبين ذلك أمور مشتبهات»(٤).

ومما يدل على عنايته وإجادته لهذا الكتاب تعليق الذهبي على كلام أبي داود الذي نقله ابن داسة والمتضمن وعداً بتبيين الضعيف الظاهر . قال الذهبي : (وقد وفى بذلك فإنه بيّن الضعيف الظاهر ، وسكت عن الضعيف المحتمل) (٥) .

⌘ ⌘ ⌘

---

(١) « سنن أبي داود » ١/٢٣١
(٢) « عون المعبود ١/٣٤٣ (٣) انظر « رسالة أبي داود » بتحقيقنا ص ١٣
(٤) « تاريخ بغداد » ٩/٥٧ « المنتظم ٥/٩٧ « طبقات السبكي »٢/٢٩٣ « وفيات الاعيان » ٢/٤٠٤ « كشف الظنون » ٢/١٠٠٤ « مختصر المنذري ١/٥ « المنهج الاحمد » ١/١٧٥ « جامع الاصول » ١/١١١
(٥) « طبقات السبكي » ٢/٢٩٣

رواياته

نتوقع أن يكون هذا الكتاب قد روي من طرق كثيرة ، غير أنّ الرواة الذين ذكرهم العلماء تسعة وقد أوردنا أسماءهم في كلامنا على تلامذته .

والحق أنّ هؤلاء الرواة الذين عرفناهم — وغيرهم كثير ممن لم نقف على أسمائهم — قد أدوا خدمةجليلة لكتاب أبي داود ، وللسنة بوجه عام ، فجزاهم الله عن ذلك خير الجزاء .

وقد انتهيت من بحثي إلى أن كتاب «السنن» متواتر إلى صاحبه دون شك. وأن أولئك الدساسين الذين يريدون أن يشككوا المسلمين بكتب ثقافتهم الدينية وبالأصول الإسلامية قوم دفعهم إلى ذلك التعصب الأعمى والحقد الدفين .

ذكر العلماء أن الروايات عن أبي داود بكتابه « السنن » كثيرة جداً وهذا أمر طبيعي ، لأن رجلاً ظلّ يقرىء كتابه مدة تقرب من أربعين سنة لا بد أن يكون عدد الذين رووه عنه كبيراً ، لا سيما أن أبا داود — كما سبق أن أشرنا إلى ذلك في ترجمة حياته — محدث مشهور يقصده الناس لعلمه وفضله حتّى إن الدولة رأت في سكناه بالبصرة سبباً لإحياء المدينة الميتة وعمارة القرية الخربة . ومن عادة المؤلفين أنهم دائماً في تنقيح مستمر لكتبهم ، يقدمون ويؤخرون ويزيدون وينقصون ، وكلما نظروا في أثر من آثارهم رأوا أنّه بحاجة إلى تعديل .

ومن أجل ذلك كان كلام الحافظ ابن كثير عن روايات سنن أبي داود هو الكلام الطبيعي الذي جاء نتيجة لما ذكرنا . **قال في «مختصر علوم الحديث» :**

(الروايات عند أبي داود بكتابه السنن كثيرة جداً ، ويوجد في بعضها من الكلام بل والأحاديث ما ليس في الاخرى)(١)

ولذلك كان أبو داود يحذف بعض الأحاديث ويزيد بعضاً في محاولات تنقيح الكتاب وإحكام ترتيبه، وقد مر معنا كلام اللؤلؤي الذي يذكر فيه أنّ أبا داود في المرة الرابعة لم يقرأ حديثاً — ذكره — ويحسن بنا أن نتعرف إلى أصحاب هذه الروايات وهم :

١ - أبو علي محمد بن أحمد بن عمرو اللؤلؤي :

وهذه النسبة تتصل بالمهنة ، فهي نسبة إلى اللؤلؤ لأنه كان يبيعه وقد توفي (٢) سنة ٣٣٣هـ .

---

(١) « الباعث الحثيث » ص ٤١ (٢) « تذكرة الحفاظ » ٣/٨٦٥

وروايته من أصح الروايات لأنها من آخر ما أملى أبو داود فقد سمع السنن مرات عديدة كانت آخر هن في السنة التي توفي فيها أبو داود : سنة ٢٧٥هـ .

وقد روى عن اللؤلؤي هذه السنن القاسم بن جعفر بن عبدالواحد الهاشمي أبو عمر، وهو ممن ترجم له الخطيب (١) وذكر أنه من أهل البصرة وعدّد أساتذته فذكر منهم اللؤلؤي وعبد الفاخر بن سلامة الحمصي ومحمد بن أحمد الأثرم وعلي بن إسحاق المارديني ويزيد بن إسماعيل الخلال ومحمد بن الحسين الزعفراني الواسطي ، وأثنى عليه الخطيب(١) فقال: (كان ثقة أميناً ، ولي القضاء بالبصرة، وسمعتُ منه بها «سنن أبي داود») وذكر أنه ولد سنة ٣٢٢ وتوفي سنة ٤١٤هـ .

وقد روى عن القاسم الهاشمي هذه السنن الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ والخطيب البغدادي إمام ثقة ذائع الصيت (٢) .

ورواية الخطيب هي التي اعتمدت بالنسبة للشائع من نسخ أبي داود برواية اللؤلؤي .

ومن المفيد أن نذكر أن ابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١هـ قد ألف كتابه «الإشراف على معرفة الأطراف»(٣) الذي جمع فيه أطراف «سنن أبي داود» معتمداً على رواية اللؤلؤي(٤). أما المزي المتوفى سنة ٧٤٢هـ فقد جمع في كتابه «تحفة الاشراف بمعرفة الأطراف» أطراف أحاديث «سنن أبي داود» من الروايات الأربعة وهي روايات : اللؤلؤي ، وابن داسة ، وابن العبد ، وابن الأعرابي ، بحيث يورد حديث السنن ثم يقول : أخرجه أبو داود في باب كذا ، فإن كان ذلك الحديث موجوداً في رواية اللؤلؤي يسكت عنه ولا يقول : إن هذا الحديث من رواية اللؤلؤي سواء كان ذلك الحديث في باقي الروايات الثلاثة موجوداً أم لا . وإن لم يكن الحديث من رواية اللؤلؤي، بل من رواية الثلاثة الآخرين أو من رواية واحد منهم فيقول بعد إخراجه : حديث أبي داود في رواية ابن داسة مثلا أو رواية ابن العبد مثلا أو في رواية ابن الأعرابي مثلا أو في رواية هؤلاء الثلاثة أو اثنين منهم (٥) .

٢ - أبو بكر محمد بن بكر بن عبد الرزاق بن داسة التمار :

المتوفى سنة ٣٤٦هـ . وروايته مشهورة ولا سيما في بلاد المغرب وتقارب رواية اللؤلؤي. والاختلاف بينهما غالباً بالتقديم والتأخير (٦) .

---

(١) « تاريخ بغداد » ٤٥١/١٢ (٢) انظر ترجمته في « طبقات الشافعية ١٢/٣ و « وفيات الاعيان » و « معجم الادباء » ٢٤٨/١

(٣) ومخطوطته موجودة في مصر في دار الكتب المصرية (انظر « تحفة الاشراف » ٤/١ تعليق رقم ٥)

(٤) « عون المعبود » ٥٤٨/٤

(٥) « عون المعبود » ٥٤٨/٤

(٦) « المنهل العذب المورود » لمحمود خطاب السبكي ١٩/١ و « عون المعبود » ٥٤٧/٤

وقد وصلت إلينا بعض المخطوطات برواية ابن داسة وقد اعتمد على واحدة منها صاحب عون المعبود(١) ونقل عن السيوطي قوله فيها : وروايته أكمل الروايات (١) وقال : إن كثيراً من الروايات موجودة في رواية ابن داسة وليس هو في رواية اللؤلؤي كما نبهت على ذلك في مواضعها من هذا الشرح (١) كما سنشير إلى ذلك في موضعه إن شاء الله . وقد أتيح لي أن أقف على نسخة مصححة على مخطوطة أثبتت الفروق بين رواية ابن داسة واللؤلؤي .

٣ - أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم البصري المعروف بابن الأعرابي(٢) :

صاحب التصانيف ، الإمام الزاهد الحافظ شيخ الحرم . كان أبو داود أحد أساتذته وقد سمع منه « السنن ».

ومن شيوخه أيضاً الحسن بن محمد الزعفراني ومحمد بن عبد الملك الدقيقي . وروى عنه ابن المقرىء وابن منده وأحمد بن محمد بن مفرج القرطبي .

ولد ابن الأعرابي سنة ٢٤٦ وتوفي ٣٤٠هـ .

وقد سقط من نسخته كتاب الفتن والملاحم والحروف والقراءات والخاتم ونحو النصف من كتاب اللباس، وفاته أيضاً من كتاب الوضوء والصلاة والنكاح أوراق كثيرة (١) .

٤ - أبو الحسن علي بن الحسن بن العبد الأنصاري المتوفى سنة ٣٢٨ :

ويعرف بأبي الحسن الوراق سمع أبا داود السجستاني وعثمان بن خرزاذ الأنطاكي ، روى عنه الدارقطني (٤) .

وهذه الرواية فيها من الكلام على جماعة من الرواة والأسانيد ماليس في رواية اللؤلؤي (٥) .

وقد جاء في آخر مخطوطة الرسالة التي في وصف السنن نص ينقل عن هذا الراوي (علي بن الحسن بن العبد) وهو قوله :

(سمعت كتاب السنن من أبي داود ست مرار بقيت من المرة السادسة بقية) وقد سبق أن أوردت هذا الكلام (٦) .

---

(١) « عون المعبود » ٥٤٧/٤
(٢) انظر « تذكرة الحفاظ » ٨٥٢/٣
(٣) « المنهل العذب المورود » ١٩/١ وهذا الذى سقط هو من نسخته الاصلية في الغالب والله أعلم .
(٤) « تاريخ بغداد ٣٨٢/١١ (٥) « المنهل العذب ١٩/١
(٦) انظر ص ٢٣٧ من هذا البحث وانظر « رسالة أبي داود الى أهل مكة » ص ١٣ طبع دار العربية بيروت .

٥ - أبو أسامة محمد بن عبد الملك الرؤاسي (١) .

٦ - أبو سالم محمد بن سعيد الجلودي (١) .

٧ - أبو عمرو أحمد بن علي بن الحسن البصري (١) .

٨ - أبو الطيب أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الأشناني (١) .

٩ - أبو عيسى إسحاق بن موسى بن سعيد الرملي الوراق المتوفى سنة ٣٢٠ هـ وقالوا : إنه وراق أبي داود (١).

※ ※ ※

تجزئة الكتاب

ذكر أبو داود في « رسالته إلى أهل مكة » أن عدد كتب هذه السنن ١٨ جزءاً مع المراسيل، منها جزء واحد مراسيل . ويبدو أنّ النساخ والرواة جزؤوا الكتاب إلى أجزاء ، ومن أجل ذلك فهذه التجزئة تختلف من إنسان لآخر .

أما تجزئة الخطيب البغدادي وهو الذي روى سنن أبي داود برواية اللؤلؤي فتبلغ تقديراً حوالي ٣٠ جزءاً لأنه يفهم من تعليقات المحقق الأستاذ محمد محيي الدين عبدالحميد أن عدد أجزاء المقدار المطبوع في الجزأين الأولين بلغ ١٤ جزءاً من تجزئة الخطيب البغدادي(٢).

وقد استعرضت الجزأين الثالث والرابع فلم أجد المحقق ذكر شيئاً عن هذه التجزئة .

وفي عصر الطباعة رأينا كتاب أبي داود مطبوعا في جزء مرة ، ورأيناه مرة أخرى مطبوعاً في جزأين ، ورأيناه مطبوعاً مرة ثالثة بأربعة أجزاء .

أقسام الكتاب وتبويبه

١ - خلا الكتاب من المقدمة، وهذا موضع تعجب، ذلك لأنّ مؤلفه كتب رسالة في وصف سننه وهي أحسن ما تكون توضيحاً لعمله وعرضاً لخطته ووضعاً للأمور في نصابها، ولو أن قائلا ذهب إلى أنها تصلح أن تسدّ مسدّ المقدمة لما كان مخطئاً .

---

(١) لم أجد لهؤلاء الرواة تراجم مفصلة تنقع الغلة ، ولعلي أجد ذلك او شيئا منه في المستقبل
(٢) انظر « السنن » ٣٦٢/٢

وليس أبو داود وحده الذي خلا كتابه من المقدمة ، بل شاركه في ذلك غيره ، فالبخاري أيضاً لم يكتب لجامعه الصحيح مقدمة ، لكنّ الفرق بينهما أن البخاري رحمه الله لم يتح له النظر في كتابه بعد تأليفه (١) ، أما أبو داود فقد بقي يقرأ « السنن » ويذيعها بين الناس أربعين سنة كما أسلفنا .

ولعلّ الأمر يتعلق بأطوار التأليف ، إذ ليس البخاري وأبو داود وحدهما لم يكتبا مقدمات لكتبهما، بل نجد كذلك الامام أحمد لم يكتب مقدمة لمسنده وابن المبارك لم يكتب مقدمة لكتابيه : الزهد ، والجهاد .

٢ – ينقسم كتاب « السنن » إلى كتب كبيرة بلغت ٣٦ كتاباً هي :

(١) الطهارة – (٢) الصلاة – (٣) الزكاة – (٤) اللقطة –(٥) المناسك – (٦) النكاح (٧) الطلاق – (٨) الصوم – (٩) الجهاد – (١٠) الضحايا – (١١) الصيد – (١٢) الوصايا (١٣) الفرائض – (١٤) الخراج والإمارة والفيء – (١٥) الجنائز – (١٦)الأيمان والنذور (١٧)البيوع – (١٨) الإجارة – (١٩) الأقضية – (٢٠) العلم – (٢١) الأشربة – (٢٢) الأطعمة (٢٣) الطب – (٢٤) العتق – (٢٥) الحروف والقراءات – (٢٦) الحمام – (٢٧) اللباس – (٢٨) الترجل – (٢٩)الخاتم – (٣٠) الفتن – (٣١) المهدي – (٣٢) الملاحم – (٣٣) الحدود – (٣٤) الديات (٣٤) السنة – (٣٦) الأدب

٣ – وكل كتاب من هذه الكتب ينقسم إلى أبواب ، باستثناء ثلاثة كتب لم نجد فيها أبواباً هي :

كتاب اللقطة – وكتاب الحروف والقراءات – وكتاب المهدي. ولايستوي عدد أبواب الكتب ، فبينما نجد كتاباً يشتمل على أكثر من مائة باب ككتاب الصلاة – الذي يشتمل على ثلاثمائة باب وسبعة وستين باباً – نجد كتاباً لا تتجاوز أبوابه الثلاثة ككتاب الحمام الذي اشتمل على ثلاثة أبواب فقط.

٤ – وقد نجد باباً كبيراً تحته أبواب كثيرة ، وذلك كالباب الذي جاء بعنوان «باب تفريع أبواب الجمعة»(٢) وقد جاء تحته ٣٨ باباً .

وكالباب الذي جاء بعنوان « جماع أبواب الاستسقاء وتفريعها»(٣) وقد جاء تحته ثلاثة أبواب .

٥ – هذا وليست الأبواب متساوية في حجمها وإن كان يغلب على معظمها القصر ، فقلما نجد باباً يجاوز الصفحة. بل أكثر الأبواب قصيرة قصراً واضحاً ، وربما لا يكون في الباب إلا أثر ، كما في الباب الآتي :

(باب إخفاء التشهد
حدثنا عبدالله بن سعيد الكندي ، ثنا يونس – يعني ابن بكير – عن محمد بن اسحاق ، عن عبدالرحمن

---

(١) انظر كتابي « الحديث النبوي » ص ٢١٦
(٢) « السنن » ١/٣٧٧ (٣) « السنن » ١/٤١٢

ابن الأسود ، عن أبيه ، عن عبدالله قال : من السنة أن يخفى التشهد(١) .

وقد صرح أبو داود في « رسالته إلى أهل مكة » أنه يتعمد قلة الأحاديث في الباب فقال : (ولم أكتب في الباب إلا حديثاً أو حديثين ، وإن كان في الباب أحاديث صحاح ؛ لأنه يكبر ، وإنما أردت قرب منفعته)(٢).

وهذه الخاصة من أبرز خصائص السنن ، وكأن أبا داود استخرج من الحديث أو الحديثين أبرز ما فيهما فجعله عنوان الباب ، أوكانه أدخل تحت العنوان أبرز الأحاديث عليه ، ولذا يستطيع المرء أن يعثر على الحديث المطلوب بسهولة ؛ لأن الباب قليل الأحاديث ، ومن هنا قربت منفعته على حدّ تعبير أبي داود .

وأكد أبو داود حرصه على قلة الأحاديث في الباب فقال في « رسالته إلى أهل مكة » : (وإذا أعدت الحديث في الباب من وجهين أو ثلاثة فإنما هو من زيادة كلام فيه)(٢)أي من أجل زيادة كلام فيه ؛ على أننا قد نقف على بعض الأبواب الطويلة ، وذلك كباب صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم الذي استغرق سبع صفحات (٣) . ولعل السبب يعود إلى موضوع الباب نفسه .

٦ – وأخيراً فإنّ مجموع عدد أبواب كتاب«السنن»حسب إحصاء الأستاذ محمد محيي الدين عبدالحميد هو ١٨٨٩ باباً .

درجات أحاديث الكتاب وأنواعها

يذكر العلماء كتاب «السنن» لأبي داود على أنّه من مظانّ الحديث الحسن .(٤)

قال ابن الصلاح :

(رُوِّينا عنه – أي عن أبي داود – أنه قال : ذكرتُ الصحيح وما يشبهه ويقاربه ، وما كان فيه وهن شديدٌ بينته ، وما لم أذكر فيه شيئاً فهو صالحٌ ، وبعضها أصحُّ من بعض) (٥) وعقب ابن الصلاح على ذلك بقوله :

(فعلى هذا ما وجدناه في كتابه مذكوراً مطلقاً وليس في واحد من الصحيحين ولا نصّ على صحته أحدٌ عرفنا أنه الحسن عند أبي داود) (٥) .

---

(١) « السنن » ٢٥٦/١ (٢) انظر « رسالة أبي داود » ص ٢٢
(٣) « السنن » ٢٤٨/٢ حتى صفحة ٢٥٤
(٤) « علوم الحديث لابن الصلاح ص ٣٣ « تدريب الراوي » ص ٩٦ « الباعث الحثيث » ص ٤١ « توجيه النظر » ص ١٥٠
(٥) « علوم الحديث » ص ٣٣

وسنرى بعد قليل أن هذا الرأي موضع نظر لدى المحققين . هذا وقد حلّل البقاعي في «حاشيته على الألفية» كلام أبي داود المتقدم وانتهى إلى أن هناك ـ على قول أبي داود ـ ستة أنواع من الأحاديث في كتابه وهي :

١ ـ الأول الصحيح : ويجوز أن يريد به الصحيح لذاته .
٢ ـ الثاني شبهه : ويجوز أن يريد به الصحيح لغيره .
٣ ـ الثالث مقاربه : ويجوز أنه يريد به الحسن لذاته .
٤ ـ الرابع الذي فيه وهن شديد .
٥ ـ وقوله (وما لم أذكر فيه شيئاً فهو صالح) يفهم منه الذي فيه وهن ليس بشديد فهو قسم خامس، فإن لم يعتضد كان قسماً صالحاً للاعتبار فقط .
٦ ـ وإن اعتضد صار حسناً لغيره ، أي للهيئة المجموعة وصلح للاحتجاج وكان قسماً سادساً)(١) .

وكذلك فإن الذهبي ذكر في «سير أعلام النبلاء» أن الأحاديث في «سنن أبي داود» ستة أنواع فقال :

١ ـ إنّ أعلى ما في كتاب أبي داود من الثابت ما أخرجه الشيخان وذلك نحو شطر الكتاب .
٢ ـ ثم يليه ما أخرجه أحد الشيخين ورغب عنه الآخر .
٣ ـ ثم يليه ما رغبا عنه وكان إسناده جيداً سالماً من علة وشذوذ .
٤ ـ ثم يليه ما كان إسناده صالحاً وقبله العلماء لمجيئه من وجهين لينين فصاعداً .
٥ ـ ثم يليه ما ضعف إسناده لنقص حفظ راويه ، فمثل هذا يسكت عنه أبو داود غالباً .
٦ ـ ثم يليه ما كان بيّن الضعف من جهة راويه ، فهذا لا يسكت عنه بل يوهنه غالباً ، وقد يسكت عنه بحسب شهرته ونكارته) (٢) .

والحق أن أحاديث أبي داود متفاوتة المراتب ومثل هذا التصنيف يعطي فكرةمناسبة عن أحاديث الكتاب ، هذا وقد شهد العلماء بأنّ أبا داود قد وفى بوعده بتبيين ما فيه وهن شديد .

نقل السبكي عن الذهبي قوله الآتي :

(وقد وفى بذلك فإنه بيّن الضعيف الظاهر وسكت عن الضعيف المحتمل ، فما سكت عنه لا يكون حسناً عنده ولا بدّ ، بل قد يكون مما فيه ضعف) (٣) .

وبالغ الحافظ السِّلَفيُّ فزَعم أنّ ما في سنن أبي داود صحيح ، فقد ذكر الكتب الخمسة وقال : (اتفق على صحتها علماء المشرق والمغرب) .

---

(١) «كشف الظنون» لحاجي خليفة ١٠٠٥/٢
(٢) «قواعد التحديث» ص ٢٣٢
(٣) «طبقات الشافعية» ٢٩٥/٢

فردّ عليه ابن الصلاح وقال : (وهذا تساهل ، لأن فيها ما صرحوا بكونه ضعيفاً أو منكراً أو نحو ذلك من أوصاف الضعيف ، وصرّح أبو داود فيما قد منا روايته عنه بانقسام ما في كتابه إلى صحيح وغيره)(١).

وكلام ابن الصلاح هذا صحيح ، وإن كان المحققون من العلماء – كما رأيت – لا يوافقونه على رأيه الذي ورد آنفاً من أن الأحاديث التي سكت عنها أبو داود حسنة . ومن هؤلاء المحققين الذهبي والحافظ العراقي وغيرهما .

والسبب في موقف ابن الصلاح أنه كان يرى أن ليس للمتأخر أن يجرؤ على الحكم بصحة حديث ليس في أحد الصحيحين أو لم ينصّ على صحته أحد من أئمة الحديث السابقين .

قال الأستاذ أحمد شاكر :

(إنّ ابن الصلاح يحكم بحسن الأحاديث التي سكت عنها أبو داود ولعله سكت عن أحاديث في السنن ، وضعّفها في شيء من أقواله الأخرى كإجاباته للآجري في الجرح والتعديل ، والتصحيح والتعليل، فلا يصح إذن أن يكون ما سكت عنه في «السنن» وضعفه في موضع آخرمن كلامه حسناً ، بل يكون عنده ضعيفاً .

وإنما لجأ ابن الصلاح إلى هذا اتباعاً لقاعدته التي سار عليها من أنه لا يجوز للمتأخرين التجاسر على الحكم بصحة حديث لم يوجد في أحد الصحيحين أو لم ينص أحدٌ من أئمة الحديث على صحته) (٢) .

وقال في موضع آخر :

(وقد رد العراقي وغيره قول ابن الصلاح هذا ، وأجازوا لمن تمكن وقويت معرفته أن يحكم بالصحة أو بالضعف على الحديث بعد الفحص عن اسناده وعلله ، وهو الصواب . والذي أراه أن ابن الصلاح ذهب إلى ما ذهب إليه بناء على القول بمنع الاجتهاد بعد الأئمة ، فكما حظروا الاجتهاد في الفقه أراد ابن الصلاح أن يمنع الاجتهادفي الحديث ، وهيهات فالقول بمنع الاجتهاد قولٌ باطل لا برهان عليه من كتاب ولا سنة ولا تجدله شبه دليل) (٣) .

✖ ✖ ✖

---

(١) «علوم الحديث» ٣٦ – ٣٧
(٢) «الباعث الحثيث» ص ٤٢ (٣) «الباعث الحثيث» ص ٢٩

الضعيف في سنن أبي داود

في كتاب «السنن» كما اتضح لنا أحاديث ضعيفة ، صرّح أبو داود نفسه بضعف بعضها، ولم يصرح بتضعيف بعضها الآخر ؛ إمّا لأن ضعفها محتمل عنده وليس بشديد ، وإما لأنه صرح في غير « السنن »بضعفها كما ذكر ذلك الاستاذ أحمد شاكر في النص الذي اوردناه قبل قليل(١) .

فالأحاديث التي صرّح بضعفها أمرها هيّن ، وكذلك الأحاديث التي سكت عنها وأخرجها الشيخان أو أحدهما فهي صحيحة ، أما الأحاديث التي سكت عنها وليست من هذا القبيل ولا ذاك فإننا نستطيع أن نحكم عليها بالنظر في أسانيدها ، فما حكم له سنده بالصحة كان صحيحاً وما حكم له سنده بالضعف كان ضعيفاً .

ومن الجدير بالذكر أن ننوه هنا بأن المنذري وابن الصلاح وغيرهما ذكروا أن محمد بن اسحاق بن منده الحافظ حكى أن شرط أبي داود والنسائي إخراج حديث أقوام لم يجتمع على تركهم ، ويحكون عن أبي داود أنه قال : (ما ذكرت في كتابي حديثاً اجتمع الناس على تركه) (٢) .

وهذا الذي يحكونه عن أبي داود أدق من كلمته الواردة في رسالته إلى أهل مكة وهي (وليس في كتاب السنن عن رجل متروك الحديث شيء) إذ قد أخرج عن أبي جناب الكلبي (٣) ومحمد بن عبدالرحمن البيلماني (٤) وهما من المتروكين وإن وجد من يزكيهما ، فلا يعد أمثالهما من المجتمع على تركهم .

وروي عن جابر الجعفي فقد أخرج له الحديث رقم ١٠٣٦ ونصّه « إذا قام الامام في الركعتين فإن ذكر قبل أن يستوي قائماً فليجلس فإن استوى قائماً فلا يجلس ، ويسجد سجدتي السهو» ثم قال عقبه : (وليس في كتابي عن جابر الجعفي إلا هذا الحديث) (٥) .

وقد ترجم الذهبي في « الميزان » لجابر هذا وذكر ما يدل على ضعفه واتّهامه (٦) وذكر أبو داود في كتابه السنن عمرو بن ثابت (٧) وهو رافضي ، وقد قرر ذلك أبو داود نفسه فقال بعد أن أورد الحديث رقم ٢٨٧ : (ورواه عمرو بن ثابت عن ابن عقيل ...) ثم قال : (قال أبو داود : وعمرو بن ثابت رافضي رجل سوء ولكنه كان صدوقاً في الحديث)(٨) .

---

(١) وانظر ايضا كلام الحافظ الذهبي الذى اوردته في ص ٢٤٥
(٢) « مختصر المنذري » ١/٨ « علوم الحديث » ٣٣ « تدريب الراوي »٩٧ « توجيه النظر » ١٥٠ « قواعد التحديث » ٢٢١
(٣) أنظر « الميزان » ٤/٣٧١ (٤) انظر « الميزان » ٣/٦١٧
(٥) انظر « سنن أبي داود » ١/٢٧٣ ـ ٢٧٤
(٦) انظر « الميزان » ١/٣٧٩
(٧) أنظر ترجمته في « الميزان ٣/٢٤٩ (٨) انظر « السنن » ١/٣٣٠

وروى أيضاً عن الحارث الأعور (١) الحديث رقم ٩٠٨ وفي الحارث ما فيه (٢) .

× × ×

لماذا أورد في كتابه الضعيف

أورد أبو داود بعض الأحاديث الضعيفة في كتابه للأمور الآتية :

١ – لأن طريقته في التصنيف هي أن يجمع كل الأحاديث التي تتضمن أحكاماً فقهية ذهب إلى القول بها عالم من العلماء .

٢ – لأنه كان يرى أن الحديث الضعيف إن لم يكن شديد الضعف أقوى من رأي الرجال ومن القياس (حكى ابن منده أنه سمع محمد الباوَرْدي يقول : كان من مذهب النسائي أن يخرج عن كل من لم يجمع على تركه قال ابن منده : وكذلك أبو داود السجستاني يأخذ مأخذه ويخرج الاسناد الضعيف إذا لم يجد في الباب غيره لأنه أقوى عنده من رأي الرجال) (٣) .

وحكى ابن العربي عن أبي داود أنه قال لابنه :

(إن أردت أن أقتصر على ما صحّ عندي لم أر من هذا المسند إلا الشيء بعد الشيء ، ولكنك يا بني تعرف طريقي في الحديث أني لا أخالف ما يضعف إلا إذا كان في الباب ما يدفعه) (٤) .

٣ – أما اذا كان الحديث شديد الضعف فإنما يورده ليدل على عدم تبنيه لمضمونه ، وكأنه بذلك يرد على الآخرين به قائلا : ليس لكم دليل بهذا الحديث على رأيكم لأن الحديث شديد الضعف . ومثال ذلك ما جاء في باب النهي عن التلقين(٢) حيث عقد الباب على حديث ضعيف ولم يورد في الباب غيره ، فقد جاء بالحديث رقم ٩٠٨ فقط وهو : (عن أبي اسحاق ، عن الحارث ، عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عليّ ! لا تفتح على الامام في الصلاة » قال أبو داود: أبو اسحاق لم يسمع من الحارث إلا أربعة أحاديث ليس هذا منها) (٥) .

أي إن الحديث منقطع ، فإذا أضفنا إلى ذلك أن الحارث نفسه متهم بالكذب عرفنا أن الحديث شديد الضعف .

---

(١) انظر « ترجمته في الميزان » ١/٤٣٥
(٢) انظر « السنن » ١/٣٣٠
(٣) « علوم الحديث » ٣٣–٣٤ تدريب الراوي ٩٧ «توجيه النظر» ١٥٠
(٤) « المنهل العذب المورود » للشيخ محمود خطاب السبكي ١٨/١
(٥) انظر « السنن ١/٣٣٠

موازنة بين سنن أبي داود والصحيحين

هذا الموضوع وحده يصلح أن يكون محل دراسة خاصة وعناية تامة ويمكن أن تؤلف فيه رسالة كبيرة، غير أني أرمي من وراء ذكرها هنا أن اشير فقط إلى أن كتاب السنن جليل الشأن عند كثير من العلماء المتقدمين فهو يأتي بعد الصحيحين مباشرة، بل إن الخطابي رحمه الله قدّم السنن عليهما كما مر معنا في مبحث (ثناء العلماء على السنن) ويحسن أن نورد قول الخطابي مرة أخرى ؛ قال : (فأما أهل خراسان فقد أولع أكثرهم بكتابَيْ محمد بن اسماعيل ومسلم بن الحجاج ومن نحا نحوهما في جمع الصحيح على شرطهما في السبك والانتقاد إلاّ أن كتاب أبي داود أحسن رصفاً وأكثر فقهاً) (١) .

وقد أقام عدد من العلماء (٢) موازنة بين سنن أبي داود وصحيح مسلم وذكروا أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف، ومنهم من رجّح عمل هذا ، ومنهم من رجح عمل ذاك، والذي يهمني من هذه الموازنة أن طائفة من العلماء ترى أنّ « سنن أبي داود » في درجة تقارب درجة الصحيحين أو تفوقها .

زوائد أبي داود

يظهر أن زوائده عمّا في الكتب الخمسة الأخرى (٣) قليلة فقد سبق أن أوردنا أن الذهبي ذكر أن ما في « السنن » مما يوافق ما أخرجه الشيخان يبلغ شطر الكتاب (٤) .

وإذا تتبعنا تعليقات الحافظ المنذري تبيّن أنّ زوائده عما في الكتب الخمسة قليلة جداً ، فما أقل الأحاديث التي لا يذكر المنذري أنها وردت في بعض هذه الكتب .

وقد ألّف بعضهم في شيء من ذلك فجمع زوائد أبي داود على الصحيحين وشرحها (٥) ويحسن أن نشير هنا إلى أن كتاب أبي داود أجمع هذه الكتب ، نعم ليست فيه زيادات كثيرة على ما في هذه الكتب بمجموعها غير أن فيه كثيراً مما ليس في واحد منها على انفراد ، هذا وزوائده أحسن حالا من زوائد غيره كابن ماجه مثلا

✖ ✖ ✖

---

(١) « معالم السنن ١/١١
(٢) انظر كلام ابن الصلاح وابن سيد الناس والعراقي في « علوم الحديث » ص ٣٤ ـ ٢٢٦ و « تدريب الراوي » ص ٩٧ وما بعدها و « توجيه النظر » ص ١٥٠ وما بعدها
(٣) وهي « صحيح البخاري » و « صحيح مسلم » و « جامع الترمذي » و « سنن النسائي » و « سنن ابن ماجه »
(٤) « طبقات الشافعية » ٢/٢٩٣
(٥) انظر مبحث : دراسات عن سنن أبي داود في آخر هذا المقال

خصائصه

يحسن أن نورد بعض الخصائص المهمة التي نستطيع أن نلمسها في «السنن» .

تعدد الطرق :

هناك أحاديث كثيرة في « السنن » مروية بطريقين أو أكثر ، وهو يورد هذين الطريقين أو هذه الطرق في الاسناد قبل أن يأتي بمتن الحديث غالباً ، وإذا أراد التحويل من طريق إلى آخر رمز إلى ذلك بالحرف (ح) على عادة المحدثين (١) قال في «رسالته»: (وإذا أعدت الحديث في الباب من وجهين أو ثلاثة فإنما هو من زيادة كلام فيه وربما تكون فيه كلمة زيادة على الأحاديث) (٢).

تكرار الحديث :

في الحديث الواحد من المعاني والأحكام الشيء الكثير ، فلقد أوتي صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم(٣). فإذا أورد المؤلف الحديث في باب من الأبواب من أجل معنى وارد فيه ، اضطر إلى اعادته في باب آخر من أجل معنى آخر تضمنه الحديث ، ومن هنا كان لا مفر من تكرار الحديث في الكتب المصنفة على الأبواب(٤)

وهذا هو السبب الذي جعل أبا داود يكرر الحديث أحياناً . ولكنه لا يبلغ في تكراره مبلغ البخاري في صحيحه . ولا يقطّعه تقطيعه .

× × ×

الدقة في ايراد الروايات

الدقة ظاهرة واضحة تمام الوضوح في « كتاب السنن » ونضرب على ذلك بعض الأمثلة :

— فهو إذا روى الحديث عن طريق رجلين يثبت الرواية التي يرى أنها الصواب ثم يورد رواية الرجل الآخر كما فعل في الحديث رقم ٢٠ الذي رواه عن زهير بن حرب وهنّاد بن السري وفيه : (أما هذا

---

(١) والامثلة على ذلك كثيرة لا يفيد حصرها وانظر مثلا على ذلك الحديث رقم ٤٢ في « السنن » ٤١/١

(٢) انظر « رسالة أبي داود » ص ٢٣

(٣) انظر كتابي « الحديث النبوي » : الفني في المعاني ص ٤٧ والايجاز ص ٨٥

(٤) وكذا الكتب المرتبة على الرجال ، أعني المسانيد فان التكرار واردفيها لسبب آخر لا يخفى ، وهو ان الحديث الواحد يروى من اكثر من صحابي

فكان لا يستنزه من البول) وبعد أن انتهى من رواية الحديث قال : (قال هناد : « يستتر » مكان «يستنزه»).

ومما يدلنا على أن أبا داود يرى الصواب رواية زهير أن عنوان الباب الذي ورد هذا الحديث فيه هو باب الاستبراء من البول (١) .

ـ وقد يقتصر على رواية أحدهما دون أن يشير إلى الرواية الأخرى ، ولكنه ينبه على أنه إنما أورد رواية فلان كما في الحديث ٩٣٨ قال : (حدثنا الوليد بن عتبة الدمشقي ومحمود بن خالد قالا : ..) وبعد نهاية الحديث قال : (وهذا لفظ محمود) (٢) .

ـ وقد يروي الحديث عن أربعة رجال ولا يثبت واحدة يرجحها ثم ينبه على الروايات الأخرى ، وإنما يورد الروايات الأربع مرة واحدة مجموعة على وجه يدل على الدقة والاختصار كالحديث ٩٩٢ في باب كراهية الاعتماد على اليد في الصلاة قال :
(حَدَّثَنَا أحمد بنُ حَنْبل ، وأحْمدُ بنُ مُحمّد بن شَبُّويه وَمُحمّد بن رافِع وَمُحَمّدُ بن عبد الملِكِ الغزّال قالوا :

حَدَّثَنَا عبدُ الرزّاقِ عَنْ مَعْمرٍ عَن إسْماعيلَ عن أبيه عَنْ نَافِع عن ابنِ عُمَرَ قال : نَهَى رسُولُ الله صَلى اللهُ علَيه وسلّمَ .
قالَ أحمدُ بنُ حَنْبَل : أنْ يَجْلِسَ الرَّجُلُ في الصَّلاةِ وهُو مَعْتمدٌ عَلَى يدِهِ .
وقال ابنُ شَبُّويْه : نَهى أنْ يَعْتمِدَ الرَّجُلُ على يَدِهِ في الصّلاةِ

وقَالَ ابنُ رَافِع : نَهى أنْ يُصَلّي الرَّجُلُ وَهُوَ مُعْتمِدٌ على يَدِهِ وذَكَره في بابِ الرفع من السُّجُود .

وقال ابنُ عبد الملِكِ : نَهَى أنْ يَعْتَمِدَ الرَّجُلُ عَلى يَديْهِ إذَا نَهَضَ في الصّلاةِ) .(٣)
ولم يرجح المؤلف رواية على رواية .
وقد يأتي بالحديث عن طرق بينها فروق طفيفة لا تؤثر في المعنى ، ومع ذلك فهو حريص على ذكر هذه الفروق ، كما فعل في الحديث رقم ٤ الذي رواه عَنْ مُسَدّدْ بن مُسَرْهدٍ عَن حَمّادِ بن زَيْدٍ وعبد الوارث (عَنْ عَبْدِ العزيز بن صُهَيبٍ عَن أنَس بنِ مالِك قالَ : كانَ رسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وسَلّم إذا دَخَلَ الخلاء قَال :

---

(١) « السنن » ١/٣٤
(٢) « السنن » ١/٣٤٠
(٣) « السنن » ١/٢٥٨

عَن حَمّادٍ – قالْ : «اللّهُمّ إنّي اعُوذُ بِكَ» .
وَقالَ – عن عبدِ الوَارثِ قالَ – «أعُوذُ باللهِ من الخُبثِ وَالخَبائِث» . (١)

– ومن الأمثلة على ذلك – وهي كثيرة جداً – حديث البول في المستحمّ رقم ٢٧ الذي رواه عن أحمد بن حنبل والحسن بن علي وهو :

(لا يَبُولنّ أحَدُكُمْ في مُستَحمِّهِ ثمّ يَغتَسِل فيه – قال أحمَدُ : ثمّ يَتَوضأ فيه فإنّ عامّةَ الوَسْواسِ منه») . (٢)

والمؤلف هنا بيّن الفرق بين الروايتين اثناء الحديث . وهذه الدقة دليلٌ على مدى الحرص في نقل حديث النبي بالتحري الخالص والأداء الأمين . وتلك خصيصة خص الله بها أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فوق مجرد نقل اخبار النبي صلى الله عليه وسلم وأحاديثه ..

✖ ✖ ✖

الاختصار

وفي كتاب أبي داود الاختصار الموفّق لأننا نجده مقترناً بالدقة البالغة والوضوح البيّن ، وهذه خاصة من أهمّ الخصائص التي يمتاز بها كتاب «السنن» .

• ومن مظاهر الاختصار ما مرّ بنا في تبويب الكتاب من قلة الأحاديث في الباب الواحد .

• ومن أنواع هذا الاختصار أنه يعمد إلى الحديث الطويل فيختصره فلا يورد منه إلا موضع الفقه منه، وقد أشار أبو داود نفسه إلى هذه الخاصة فقال في رسالته :

(وربما اختصرت الحديث الطويل ، لأني لو كتبته بطوله لم يعلم بعض من سمعه ولا يفهم موضع الفقه منه فاختصرته لذلك)(٣).

• ومن أنواع هذا الاختصار انه يأتي بحديث ، ثم بعد ذلك يأتي بسند آخر ويقول : (بمعناه) كما في الحديث (٤) رقم ٣٤ فهذه الكلمة أغنته عن إعادة الحديث ، ولكي يكون كلامه دقيقاً قال : (بمعناه) منبهاً على أنّ هناك فرقاً لفظياً بين الروايتين لا يؤثر في المعنى .

• ومن أنواع هذا الاختصار أنه إذا وجد روايتين في إحداهما زيادة جاء بالأولى ، ثم أورد سند الثانية وجاء بالزيادة ولا يعيد ما سبق ذكره ، وإنما يكتفي بقوله : (وذكر الحديث) ومثل هذا كثير الورود في كتابه ، فمن ذلك الأحاديث ١١١ – ١١٢ – ١١٣ – ١١٤ ...

---

(١) «السنن» ١/٢٩
(٢) «السنن» ١/٣٦
(٣) انظر «رسالة أبي داود» ص ٢٤
(٤) «السنن» ١/٣٨

ففي الأول منها يذكر أبو داود حديث عبد خير الذي يصف وضوء عليّ رضي الله عنه كما يلي :

(حَدَّثَنَا مُسَدَّد . حَدَّثَنَا أبو عوانة . عَن خَالِدِ بنِ عَلْقَمَةَ عَنْ عبدِ خيرٍ قالَ: أتانا عليٌّ رضي اللهُ عَنْهُ وَقَدْ صلّى فدعا بطَهُورٍ فقُلْنا : مَا يَصْنَعُ بالطَهورِ وَقَدْ صلّى ؟ مَا يُرِيدُ إلاَّ ليُعَلِّمنا فأُتِيَ بإناءٍ فيهِ ماءٌ وَطَسْت، فأفْرَغَ مِن الإِناء عَلى يمينِهِ فَغَسَلَ يَدَيْهِ ثلاثاً ثُمَّ تَمَضْمَضَ وَاسْتَنْثَرَ ثلاثاً فَمَضْمَضَ وَنَثَرَ منَ الكفِّ الذي يأخُذُ فيهِ ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثلاثاً ثمَّ غَسَلَ يَدَهُ اليمنى ثلاثاً وَغَسَلَ يَدَهُ الشِّمال ثلاثاً ، ثُمَّ جَعَلَ يَدَهُ في الاناء فَمَسَحَ بِرأسِهِ مَرَّةً واحدَةً ثُمَّ غَسَلَ رِجلَهُ اليُمنى ثلاثاً وَرِجْلَهُ الشِّمَال ثلاثاً ، ثُمَّ قَالَ : مَن سَرَّهُ أنْ يَعْلَمَ وُضُوء رسولِ اللهِ فَهُوَ هَذا)(١) .

• وبعد ذلك أورد أبو داود رواية أخرى بسند آخرعَنْ عَبْدِ خيرٍ هي : (صلّى عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الغَداةَ ثُمَّ دَخَلَ الرَّحْبَةَ (٢) فَدَعَا بماءٍ فأتاهُ الغُلامُ بإناءٍ فيهِ ماءٌ وَطَسْت قَالَ :فأَخَذَ الاناء بيدِهِ اليُمنَى فأفْرَغَ عَلى يدِهِ اليُسْرى وَغَسَلَ كَفَّيْهِ ثلاثاً ثُمَّ أدْخَلَ يَدَهُ اليُمنَى في الإِناء فَمَضْمَضَ ثلاثاً واسْتَنْشَقَ ثلاثاً . ثم ساق قريباً من حديث أبي عوانة قَالَ ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ مُقَدَّمَهُ وَمُؤخَّرَهُ مَرَّةً ثم ساق الحديث نحوه)(٣).

• ثم أورد الرواية الثالثة بسند ثالث عن عبد خير أيضاً وفيها زيادة : (رأيت علياً رضي الله عنه أتي بكرسي فقعد عليه ، ثم أتي بكوز من ماء فغسل يديه ثلاثاً ثم تمضمض مع الاستنشاق بماء واحد وذكر الحديث)(٤).

ثم أورد الرواية الرابعة عن زر بن حبيش : أنَّهُ سَمِعَ علياً رضيَ اللهُ عَنْهُ وسُئِل عَنْ وُضُوء رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عَلَيهِ وسَلّمَ فذكر الحديث . وقالَ : مَسَحَ على رأسِهِ حتّى لمّا يَقْطُر ، وَغَسَلَ رِجْلَيْهِ ثلاثاً ثلاثاً ثُمَّ قَالَ : هَكَذا كَانَ وضوءُ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ)(٥).

• وإذا روى حديثاً مختصراً نقل قول الراوي باختصاره ، كما في الحديث ٤٩ فقد قال بعد أن أورده : (قال أبو داود : قال مسدّد : فكان حديثاً طويلاً ولكني اختصرته) (٦) .

---

(١) انظر « سنن أبي داود ١/٦٢
(٢) جاء في « عان المعبود ١/٤٢ الرحبة بفتح الراء وسكون الحاء محلة بالكوفة ، كذا في « القاموس »
(٣) انظر « سنن أبي داود » ١/٦٢
(٤) انظر « سنن أبي داود » ١/٦٣
(٥) « السنن » ١/٦٣
(٦) « السنن » ١/٦٤

طريقته واستقصاؤه

كان أبو داود ـ كما أسلفنا ـ يريد جمع أحاديث الأحكام التي يحتج بها الفقهاء وكان ذلك همه الأول ، وقد استطاع أن يبلغ أكثر ما يريد ، وهذا واضح من استعراض كتابه وهذا ما قرره العلماء أيضاً .

قال الدهلوي في «حجة الله البالغة» :

(كانت همة أبي داود جمع الأحاديث التي استدل بها الفقهاء ودارت فيهم ، وبنى عليها الأحكام علماء الأمصار فصنّف «سننه» وجمع فيها الصحيح والحسن واللين والصالح للعمل) (١) .

وقال الدهلوي أيضاً في صدد حديثه عن الترمذي وأنه جمع بين طريقة الشيخين اللذين بيّنا وطريقة أبي داود الذي جمع كل ما ذهب إليه عالم من العلماء فقال :

(كان استحسن طريقة الشيخين حيث بيّنا وما أبهما ، وطريقة أبي داود حيث جمع كل ما ذهب إليه ذاهب ، فجمع كلتا الطريقتين وزاد) (٢) ويدلك على ذلك أنه يعقد باباً في جواز الشيء وكراهته ، وهذا كثير جداً ، مثل : (باب كراهة استقبال القبلة عند الحاجة) والباب الذي يليه (باب الرخصة في ذلك) (٣) ومثل (باب الوضوء من مسّ الذكر) والباب الذي يليه (باب الرخصة في ذلك) (٤) .

وفي جمعه لكل ما ذهب إليه العلماء فوائد منها:

- بيان أنّ بعض الأحاديث أقوى من بعض ، لا سيما عندما يعلق على واحدٍ مضعفاً إياه ويسكت عن آخر.
- ومنها بيان أنّ الأمر جائز مع الكراهة وليس حراماً ، أو هوّ رخصة .
- ومنها إتاحة الفرصة للانسان لكي يوازن بين أقوال العلماء ويرجح ما ينصره الدليل ويعضده .

• وقد ذكر هو في «رسالته إلى أهل مكة» أنه قصد جمع أكبر قدر ممكن من السنن التي عليها مدار الأحكام فقال :

(فإنْ ذكر لك عن النبي صلى الله عليه وسلم سنة ليس مما خرجته فاعلم أنه حديث واهٍ إلاّ أن يكون

---

(١) «قواعد التحديث» ص ٣٣١
(٢) «قواعد التحديث» ص ٣٣٢
(٣) انظر «السنن» ١/٣٠ ـ ٣١
(٤) انظر «السنن» ١/٨٤ ـ ٨٥

في كتابي من طريق آخر ، فإني لم أخرج الطرق لأنه يكبر على المتعلم ولا أعرف أحداً جمع على الاستقصاء غيري)(١).

• ومن حرصه على الاستقصاء في جمع الأحاديث المتصلة بالأحكام أنه قد يورد الحديث دون سند بعد أن يكون قد أورد حديثاً مسنداً ، كما في الحديث ١٦ وهو :

(حدثنا عثمان وأبو بكر قالا : حدثنا عمر بن سعد عن سفيان عن الضحاك بن عثمان عن نافع عن ابن عمر قال : مَرَّ رَجُلٌ عَلَى النَّبيِّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ وَهوَ يَبُول ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ .قَالَ أَبُو دَاوُد : وَرُوِي عن ابنِ عُمَرَ وَغَيْرِه أنَّ النبيَّ صَلّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ تَيَمَّمَ ثمَّ رَدَّ عَلَى الرَّجُلِ السَّلام) (٢) .

فالزيادة التي في الرواية الثانية قد أوردها هنا دون سند وبصيغة التمريض رغبة منه في الاستقصاء مع الاختصار ، وذلك لأنه أوردها في باب التيمم بالسند وذلك في الحديث(٣)رقم ٣٣٠ ، ولكنه ذكر هناك ما يدل على ضعف هذا الحديث .

– ومن طريقته أنه كثيراً ما يروي الحديث عن أكثر من شيخ وتارة عن ثلاثة وتارة عن أربعة .

ففي الحديث ١٨٨ روى الحديث عن شيخين وكذا في ١٣٦٥ .

وفي الحديث ١٨٥ روى الحديث عن ثلاثة شيوخ .

وفي الحديث ٩٩٢ روى الحديث عن أربعة شيوخ .

× × ×

عناوينه

للعناوين قيمة كبرى في كتب الحديث ، ففيها يتجلّى فقه المؤلف وعلمه واستنباطه الدقيق وفهمه ، ذلك لأن جهده مقصور على تبويب هذه الأحاديث ووضع عنوان لكل طائفة منها والتعليق على بعضها ، إذ كتابه في جمع الأحاديث وليس في شرحها .

وسنذكر بعض الملاحظات حول عناوين أبي داود كما انتهينا إليها بعد شيء من الدراسة والتأمل :

[١] – الناحية الفقهية بادية في عناوين أبي داود ، وهذا أمر طبيعي ، لأن الكتاب مؤلف على أساس فقهي

---

(١) « رسالة أبي داود » ص ٢٦
(٢) « السنن » ١/٣٢
(٣) « السنن » ١/١٣٨

واضح ، وهذه العناوين رؤوس مسائل فقهية بحثها الفقهاء . قال الدهلوي في « حجة الله البالغة » : (وترجم[١] على كل حديث بما قد استنبط منه عالم وذهب إليها ذاهب) [٢] .

وقد يجد الانسان في هذه العناوين من المسائل الفقهية مالا يكاد يجده في مطولات كتب الفقه .

[٢] – عناوينه يغلب عليها الايجاز ، وتبدو هذه الخاصة واضحة إذا قارنّا عناوين « السنن » بعناوين صحيح البخاري .

[٣] – عناوين « السنن » مصوغة صياغة تغري قارئها وسامعها بقراءة أحاديث الباب التي تندرج تحته ، ولنضرب بعض الأمثلة للتوضيح ، فعناوين الكتاب كلها تصلح للتمثيل . لنأخذ العنوان الآتي : (باب الرجل ينعس والامام يخطب) هذا العنوان لا يبيّن لنا مضمون الباب ، ولا بُدَّ للأنسان من قراءة ما جاء في هذا الباب حتى يعرف : ما بال هذا الرجل الذي ينعس أثناء خطبة الامام ، والحديث برقم ١١١٩ وهو : (إذا نعسَ أحَدُكُمْ وَهُوَ في المسْجِدِ فَلْيَتَحوَّلْ مِن مجْلِسِهِ ذَلِكَ إلى غَيْرِه) [٣].

• ولنأخذ العنوان الآتي : (باب من أدرك من الجمعة ركعة) كذلك هذا العنوان لا ينبيء عن مضمونه ، ولا بُدَّ للراغب في المعرفة من قراءة الباب ، والحديث برقم ١١٢١ وهو : (مَنْ أدْرَكَ مِنَ الجُمُعَةِ رَكْعَةً من الصَّلاةِ فَقَدْ أدْرَكَ الصَّلاة) [٤].

• وكذلك العنوان : (باب الرد على الامام) لا يدري قارىء العنوان : أيجوز الرد أم لا يجوز . حتى إذا قرأ ما جاء في الباب عرف ، والحديث برقم ١٠٠١ وهو (عَن سمُرَةَ : أمَرَنَا النَّبيُّ صلّى الله عَليهِ وسَلّم أنْ نَرُدَّ عَلى الامامِ وأنْ نَتَحابَّ وَأنْ يُسلِّمَ بَعْضُنَا عَلى بَعْضٍ) [٥].

[٤] – وقد يأتي بعنوان كبير يسميه (جماع أبواب ..) أو (باب تفريع أبواب..) وذلك كما في (باب تفريع أبواب الجمعة) [٦] وتحته ٣٨ باباً ، و (جماع أبواب صلاة الاستسقاء وفروعها) [٧] وتحته ثلاثة أبواب .

[٥] – وقد يأتي الباب خالياً من العنوان ، ويقتصر المؤلف فيه على ذكر (باب) كما في كتاب الصلاة[٨] .

[٦] – وقد يأتي بالعنوان بصيغة الاثبات ، والحديث يدل على النفي . كما في الحديث ٦١٦ فالعنوان : باب الامام يتطوع في مكانه . والحديث هو :

---

(١) أي عنوان
(٢) « قواعد التحديث » ص ٣٣١
(٣) « السنن » ١/٤٠٠
(٤) « السنن » ١/٤٠٠
(٥) « السنن » ١/٣٦١
(٦) « السنن » ١/٣٧٧
(٧) « السنن » ١/٤١٢
(٨) « السنن » ١/١٦٠

(لا يُصَلِّ الإمامُ في الموضعِ الذي صَلّى فيهِ حتّى يتحوَّل) .

وربما كان ذلك على تقدير (حكم الامام ...) وجرى على طريقته في إغراء قارىء العنوان بقراءة ما ورد في الباب ، وربما كان ذلك عندما يكون الحديث ضعيفاً ، فالحديث المثال ضعيف بسبب الانقطاع ، بيّنه أبو داود بقوله : (عطاء الخراساني لم يدرك المغيرة بن شعبة) (١) .

٧ ـ قد يأتي بالعنوان بصيغة استفهام، من ذلك مثلا قوله (باب أيصلي الرجل وهو حاقن ؟) (٢) وقوله (كيف التكشف عند الحاجة ؟) (٣) وقوله (إذا خاف الجنب البرد أيتيمم ؟) (٤) وتختلف دلالة هذا الاستفهام من عنوان إلى عنوان . فهو يدل أحياناً على عدم جزم المؤلف بالحكم ، وأحياناً أخرى يدل على الكيفية . وهو كثير جداً (٥) .

٨ ـ وربما لا ينطبق العنوان على المضمون أو لا يدل على المقصود إلا بعد طول تأمل : فمن ذلك عنوان (من جهر بها) أي بالبسملة . ففي هذا الباب ثلاثة أحاديث : أولها في عدم وجود البسملة في سورة براءة وثانيها في أن النبي صلى الله عليه وسلم قبض ولم يبين لنا أنها منها وثالثها في أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يعرف فصل السورة حتى تنزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم(٦) .

وقال صاحب « عون المعبود » : (والاستدلال بهذا الحديث وكذا بكل حديث يدل على أن البسملة من القرآن على الجهر بها ليس بصحيح) (٧) وكأنه بذلك يقول : إن حجة القائلين بذلك واهية ولا دليل لهم ؛ لأن هذه الأحاديث لا تدل على رأيهم .

٩ ـ وقد يجيء حديث لا يناسب عنوان الباب الذي هو فيه ، بينما هو يناسب عنوان الباب الذي قبله . كما في الحديث (٨٨٧) الوارد في باب مقدار الركوع والسجود (٨) ، وليس فيه ما يتصل بموضوع الباب بل هو في موضوع الدعاء في الصلاة لأن فيه « (مَنْ قرأ منكُمْ (والتينِ والزَّيتونِ) فانتَهى إلى آخرِها (أليسَ اللهُ بأحكمِ الحاكمينَ) فليَقُلْ: بلى وأنا على ذلكَ منَ الشاهدينَ » . وهذا الموضوع يناسب موضوع الباب السابق وهو (باب الدعاء في الصلاة)(٩) .

وفي مثل هذه الحالة قد يكون هذا الترتيب المغلوط عائداً إلى أن النساخ نقلوا حديثاً أو عنواناً من موضع إلى موضع .

---

(١) « السنن » ١/ ٢٣٧
(٢) لا السنن » ١/ ٥٥
(٣) « السنن » ١/ ٣٢
(٤) « السنن » ١/ ١٤١
(٥) انظر « السنن » ١/ ٣٣ ـ ٤٤ ـ ٧٨ ـ ١٠٧ ـ ١٠٩
(٦) « السنن » ١/ ٢٩٠
(٧) « عون المعبود » ١/ ٢٨٩
(٨) « السنن » ١/ ٣٢٤
(٩) « السنن » ١/ ٣٢٢

تعليقاته

سبق أن تحدثت عن تبويب الكتاب وعن عناوينه وعن المنهج الذي انتهجه أبو داود في اختياره وأود فيما يأتي أن أتحدث عن تعليقاته ، وهذه الأمور — كما أسلفت — هي التي تمثل جهد المؤلف وعلمه . ويحسن أن أبادر إلى بيان أني لا أعني بالتعليقات هنا المصطلح الحديثي لها وإنما أريد بها ما يورد أبو داود من كلام له علاقة بالحديث .

مواضعها ومقدارها :

— أما مواضعها فهي إما أن تكون خلال إيراده الحديث ، ومن ذلك الحديث رقم ٩٨٠ فقد مرّ رجلٌ اشتهر أبوه بحادثة مهمة فعرّف بأبيه حرصاً على الفائدة : (حدثنا القعنبي عن مالك عن نعيم بن عبدالله المجمر أن محمد بن عبدالله بن زيد — وعبدالله بن زيد هو الذي أُري النداء بالصلاة — أخبره عن أبي مسعود ...) (١) فالتعليق هنا كان في جملة اعتراضية حرصاً على إفادة القارىء والسامع . وقد يعترض بجملة معترضة ليزيل الالتباس ، كما لو جاء اسم أحد الرواة كنية فيذكر لنا اسم هذا الراوي كما في الحديث ٣٢ ففيه : (حدثني أبو أيوب — يعني الافريقي — عن عاصم) (٢) .

وإما أن تكون التعليقات بعد إيراده الحديث . وهذا هو الغالب عليها . ولا حاجة للتمثيل عليها لأنّ كل الأمثلة القادمة هي من هذا النوع .

— وأما مقدارها ، فهو يتفاوت من حديث إلى آخر . فبينما يكون التعليق جملة مختصرة إذا بنا نراها تبلغ أحياناً ما يقرب من صفحة .

مضمونها :

يمكن أن تصنف هذه التعليقات حسب الموضوع الذي تدور حوله ، وسنورد ما وقفنا عليه من دراستنا لكتاب «السنن» :

١ - كلامه حول الرجال :

تعتبر هذه التعليقات من الملاحظات الحديثية بوجه عام ، ومقدارها في «السنن» لا بأس به ، ولو جمعت هذه الملاحظات في الرجال والمتون ونسقت لتكوّن منها بحث لطيف .

ونستطيع أن نصنف كلامه في الرجال في زمرتين :

الاولى :

كلامه في التعريف بهم وذكر أنسابهم والتحقيق في المختلف فيه منها وتبيان ما اعتراها من تصحيف وغلط .

---

(١) « السنن » ١/٢٥٤ (٢) « السنن » ١/٣٨

والثانية :

كلامه في جرحهم وتعديلهم .

× × ×

التعريف

من

الأمثلة على التعريف بالرجال أنه أورد الحديث ١٠٦٧ وهو عن الصحابي طارق بن شهاب فقال : (قال أبو داود : طارق بن شهاب قد رأى النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه شيئاً) (١) .

ومن ذلك تعريفه قعنب أحد رواة الحديث ٢٤٩٦ فقد عرّفه تعريفاً مفصلا فقال : (قال أبو داود : كان قعنب رجلا صالحاً ، وكان ابن أبي ليلى أراد قعنباً على القضاء فأبى عليه ، وقال : أنا أريد الحاجة بدرهم فاستعين عليها برجل قال : وأينا لا يستعين في حاجته ؟ قال : أخرجوني حتى أنظر ، فأخرج ، فتوارى . قال سفيان : بينما هو متوارٍ إذ وقع عليه البيت فمات) (٢) .

ومن ذلك تعريفه بأبي العباس أحد رواة الحديث ٢٥٢٩ وهو (مُحَمَّد بنُ كثير ،حدَّثنا سُفْيانُ ـ عَن حَبيبِ بن أبي ثابتْ عَن أبي العبَّاسِ عَنْ عَبْدالله بن عمرْ و قَالَ : جاء رَجُلٌ إلى النَّبي صَلَّى اللهُ عليه وَسلّم فقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ أجَاهِدُ؟ قَالَ : ألَكَ أبَوانِ ؟ قَالَ: نَعمْ. قَالَ: «فَفِيهِما فَجَاهِدْ» .

قال أبو داود : أبو العباس هذا : الشاعر ، اسمه السائب بن فروخ) (٣) .

ومن ذلك تعريفه سليمان أحد رواة الحديث ٩٧٥ فقد قال بعد أن أورد الحديث : (قال أبو داود : سليمان بن موسى كوفيّ الأصل كان بدمشق) (٤) .

ومن ذلك تفسيره نسبة أبي مصبح المقرائي أحد رواة الحديث ٩٣٨ فقد قال بعد أن أورد الحديث يفسر هذه النسبة : (قال أبو داود : المقراء قبيلٌ من حمير) (٥) .

ومن ذلك تعريفه بأبي زيد أحد رواة الحديث رقم ١٠ فقد رأى أن ذكر الكنية وحدها لا يكفي فقال بعد أن أورد الحديث : (قال أبو داود : وأبو زيد هو مولى بني ثعلبة)(٦) .

---

(١) « السنن » ١/٣٨٤ (٢) « السنن » ٣/١٢
(٣) « السنن » ٣/٢٥ (٤) « السنن » ١/٢٥٣
(٥) « السنن » ١/٢٤٠ (٦) « السنن » ١/٣١

ومن ذلك تبيينه المراد من أبي شجرة أحد رواة الحديث رقم ٦٦٦ فقد قال بعد أن أورد الحديث : (قال أبو داود : أبو شجرة كثير بن مرة) (١) .

وقد يبين بالتعليق بلد الراوي كما فعل في جعفر بن يحيي بن ثوبان أحد رواة الحديث ٦٧٢. فقد قال (قال أبو داود : جعفر بن يحيى من أهل مكة) (٢) .

وقد يكون حديثه عن الرجل في هذه التعليقات تصويباً لخطأ وتصحيف أو تحقيقاً لاسم اختلف فيه :

فمن ذلك تصويبه لاسم أحد رواة الحديث ٢٥٢٢ وهو رباح بن الوليد الذي ورد مقلوباً مغلوطاً كما يلي : (حدثنا أحمد بن صالح ، ثنا يحيى بن حسان ، ثنا الوليد بن رباح الذمارى حدثني عمي نمران ابن عتبة الذماري قال : دخلنا على أم الدرداء ...) فقد قال مصوباً هذا الخطأ : (قال أبو داود : صوابه رباح بن الوليد) (٣) .

ومن ذلك اشارته إلى قول آخر في اسم الرجل الوارد في الحديث وقد يكون أحدهما تصحيفاً للآخر ، كما في الحديث ١٠٠٧ الذي جاء فيه : (صلى بنا إمام لنا يكنى أبا رِمْثَه فقال : صليت هذه الصلاة أو مثل هذه الصلاة مع النبي صلى الله عليه وسلم ..) قال أبو داود عقب الحديث :

(قال أبو داود : وقد قيل (أبو أمية) مكان (أبي رمثة)(٤) .

ومن ذلك تحقيقه اسم أحد رواة الحديث ٦٣ وهو محمد بن عباد بن جعفر فقد ورد في رواية مغلوطاً فذكر القولين ثم رجح الصواب . وهذا الحديث رواه عن ثلاثة شيوخ وهم محمد بن العلاء ، وعثمان بن أبي شيبة والحسن بن علي . وجاء اسم الراوي في سنده هكذا (محمد بن جعفر بن الزبير) ثم قال : (قال أبو داود : وهذا لفظ ابن العلاء . وقال عثمان والحسن بن علي : عن محمد بن عباد بن جعفر . قال أبو داود : وهو الصواب) (٥) .

وقد يورد أقوالا مختلفة في اسم راوٍ ولا يرجح . كما في الحديث ٨٨٨ فقد جاء في سنده اسم أحد الرواة : وهب ابن فانوس . وبعد أن أورد الحديث قال : (قال أبو داود : قال أحمد بن صالح : قلت له : مأنوس أو مأبوس . قال : أما عبدالرزاق فيقول : مأبوس ، وأما حفظي فمأنوس)(٦) ولم يرجح .

(١) « السنن » ١/٢٥٢
(٢) « السنن » ١/٢٥٣
(٣) « السنن » ٣/٢٣
(٤) « السنن » ١/٣٦٣
(٥) « السنن » ١/٤٨
(٦) « السنن » ١/٣٢٥

الجرح والتعديل

إن تعليقات أبي داود التي تتناول الرجال جرحاً وتعديلا كثيرة لن نستطيع استقصاءها وسترد أمثلة كثيرة منها الفقرة الآتية التي نتحدث فيها عن كلامه في تضعيف الحديث ،ومن أجل ذلك فسأورد بعض الأمثلة هنا اكتفاء بما سيمر بنا في تضعيفه الحديث .

وهو ـ في جرحه للرجال ـ إما أن يورد قوله فيهم فقط دون أن ينقل عن بعض العلماء وإما أن يكون الحكم عليهم منقولا عن الأئمة الذين تقدموه .

فمن الأمثلة على جرحه الرجال قوله في (عبدالسلام بن حرب) أحد رواة الحديث رقم ١٤ : (وهو ضعيف) (١)

ومن ذلك قوله في (أبان بن طارق) أحد رواة الحديث رقم ٣٧٤١ : (إنه مجهول) (٢) .

وقد يورد الحكم على الرجال منقولا عن العلماء كما فعل في الحكم على (عبدالرحمن بن اسحاق)أحد رواة الحديث ٧٥٨ فقد نقل عن الامام أحمد تضعيفه إياه قال : (قال أبو داود : سمعت أحمد بن حنبل يضعف عبدالرحمن بن اسحاق الكوفي) (٣) .

× × ×

٢ ـ كلامه في تضعيف الحديث

لو ذهبت أستقصي تعليقاته في تضعيف الحديث لخرجت عن حدود البحث التي رسمتها لكثرتها مع تنوعها ، ولكنني أذكر ما يعطي الفكرةالنيرة عن تعليقاته في هذا الموضوع.

فمن الأمثلة على تضعيفه للحديث وبيانه سبَب الضعف ما رواه عن شيخه محمد بن اسماعيل بن أبي سمينة البصري في الحديث رقم ٧٠٤ ونَصُّه :

(عَن ابن عبّاس ـ قَالَ أحْسَبُهُ ـ عَنْ رَسُول الله صَلّى الله عليه وسلم قَالَ : « إذَا صَلّى أحَدُكُمْ إلى غَيْر سترة فإنّهُ يَقْطَعُ صَلاتَهُ الكلبُ والحمارُ والخنزيرُ واليَهُوديُّ والمجُوسيُّ والمرأة، ويُجزِئُ عَنْهُ إذا مَرّوا بينَ يديهِ على قَذْفَةٍ بحجَرْ) (٤).

ثم قال المؤلف معلقاً :

---

(١) « السنن » ٣٢/١ (٢) « السنن » ٤٦٧/٣
(٣) « السنن » ٢٨٠/١ـ٢٨١ (٤) « السنن » ٢٦٣/١

قال أبو داود : في نفسي من هذا الحديث شيء ، كنتُ أذاكر به إبراهيم وغيره ، فلم أر أحداً جاء به عن هشام ولا يعرفه ، ولم أر أحداً جاء به عن هشام . وأحسب الوهم من ابن أبي سمينةيعني محمد بن اسماعيل البصري مولى بني هاشم . والمنكر فيه ذكر المجوسي ، وفيه : على قذفة بحجر ، وذكر الخنزير . وفيه نكارة قال أبو داود : ولم أسمع هذا الحديث إلا من محمدبن اسماعيل بن أبي سمينة ،وأحسبه وهم ؛ لأنه كان يحدثنا من حفظه) (١) .

ومن الأمثلة على ذلك تعليقه على الحديث ١٩ فقد بين درجته ثم ذكر سبب الضعف ونصه : (. عن همام ، عن ابن جريج عن الزهري عن أنس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل الخلاء وضع خاتمه) . قال : (قال أبو داود : هذا حديث منكر) ثم قال ذاكراً سبب الضعف : (وإنما يعرف عن ابن جريج عن زياد بن سعد عن الزهري عن أنس أنّ النبي صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتماً من ورق ثم ألقاه . والوهم فيه من همام ، ولم يروه إلا همام) (٢) .

ومن الأمثلة على ذلك تعليقه على الحديث رقم ١٣٢ فقد نقل إنكار أحمد وابن عيينة للحديث ؛ وفي سنده (عن طلحة بن مصرف عن أبيه عن جده) (قال أبو داود : قال مسدّد : فحدثت به يحيى فأنكره ، وقال أبو داود : وسمعت أحمد يقول : إن ابن عيينة زعموا أنه كان ينكره ويقول : إيش هذا : طلحة عن أبيه عن جده) (٣) .

ومن الأمثلة على ذلك تضعيفه للحديث ببيان انقطاعه أي أن أحد الرواة لم يدرك الآخر ، وهذا ما يعبر عنه علماء الحديث بالانقطاع كما في الحديث ٦١٦ الذي جاء في سنده : (.. عبدالعزيز بن عبدالملك ثنا عطاء الخراساني ، عن المغيرة بن شعبة) .

قال أبو داود في تعليقه عليه : (قال أبو داود : عطاء الخراساني لم يدرك المغيرة بن شعبة) (٤) .

ومن ذلك تعليقه على الحديث ١٩٧٨ وقد جاء في سنده أن الحجاج يروي عن الزهري فقال في نقده : (قال أبو داود : هذا حديث ضعيف ، الحجاج لم ير الزهري ولم يسمع منه) (٥) .

ومن ذلك تعليقه على الحديث رقم ١٦٥ وفي سنده (.. أخبرنا ثور بن يزيد عن رجاء بن حيوة ..) فقال أبو داود يضعفه (وقال أبو داود : وبلغني أنه لم يسمع ثورٌ هذا الحديث من رجاء) (٦) .

---

(١) « السنن » ١/٢٦٣ (٢) « السنن » ١/٣٤
(٣) « السنن » ١/٦٨ (٤) « السنن » ١/٢٣٧
(٥) « السنن » ٢/٢٧٣ (٦) « السنن » ١/٧٩

ومن ذلك تضعيفه للحديث بنقل أقوال بعض العلماء في توهين الحديث كما في الحديث ١٠٠٤ وهو : «حذف السلام سنة» فقد قال عقبه :

(قال عيسى : نهاني ابن المبارك عن رفع هذا الحديث . قال أبو داود : سمعتُ أبا عمير عيسى بن يونس الفاخوري الرملي قال : لما رجع الفريابي (وهو أحد رواة الحديث) من مكة ترك رفع هذا الحديث وقال : نهاه أحمد بن حنبل عن رفعه) (١) .

ومن تضعيفه للحديث نقلا عن بعض العلماء تعليقه على الحديث رقم ٢٠٢ فقد قال عقبه : (قال أبو داود : قوله : الوضوء على من نام مضطجعاً هو حديث منكر لم يروه إلا يزيد أبو خالد الدالاني عن قتادة) ثم قال : (قال أبو داود : وذكرت حديث يزيد الدالاني لأحمد بن حنبل فانتهرني استعظاماً له وقال : ما ليزيد الدالاني يدخل على أصحاب قتادة ، ولم يعبأ بالحديث) (٢) .

وقد يضعف الحديث بالحكم عليه بأنه وهم دون أن يذكر سبب حكمه كما في فعل في الحديث ٩٤٤ «التَّسْبِيحُ لِلرِّجالِ والتَّصْفِيقُ للنِساء ، مَنْ أشار في صَلاتِهِ إشَارَةً تُفْهَمُ عَنْهُ فَلْيُعِدْ لَها» . يعني الصلاة قال أبو داود : هذا الحديث وهم) (٣) .

وقد يضعف الحديث والحكم عليه بأنه ليس بالقوي ، كما فعل في الحديث ١٥٨ فقد قال في عقبه : (قال أبو داود : وقد اختلف في إسناده ، وليس هو بالقوي . ورواه ابن ابي مريم ويحيى بن اسحاق والسليمي عن يحيى بن أيوب ، وقد اختلف في إسناده) (٤) .

وكما في الحديث رقم ١٥٩ فقد قال عقبه :

(قال أبو داود : وروي هذا أيضاً عن أبي موسى الأشعري عَنِ النَّبيِّ صَلى اللهُ عَليهِ وسَلّمَ أنّهُ مَسَحَ عَلى الْجَوْرَبَيْن وليس بالمتصل ولا بالقوي) (٥) .

× × ×

٣ ـ فوائد حديثية

في تعليقات أبي داود فوائد حديثية أخرى ليست مقصورة على مبحث التصحيح والتضعيف، وسنذكر بعضاً منها :

---

(١) «السنن» ١/٣٦١ـ٣٦٢ (٢) «السنن» ١/٩١ـ٩٢
(٣) «السنن» ١/٣٤٢ (٤) «السنن» ١/٧٧
(٥) «السنن» ١/٧٧

فمن هذه الفوائد تعليقه على بعض الأحاديث بأن ينبه بأن رواة هذا الحديث كلهم مثلاً من بلد معين ، وهذه مزية خاصة للسند ويدعو بعضهم الحديث الذي يكون سنده كذلك بالحديث المسلسل(١) فمن ذلك تعليقه على الحديث رقم ٩١ حيث قال :

(قال أبو داود : هذا من سنن أهل الشام لم يشركهم فيها أحد) (٢) .

ومن ذلك تعليقه على الحديث رقم ١٥٥ حيث قال :

(قال أبو داود : هذا مما تفرد به أهل البصرة) (٣) .

ومن ذلك تعليقه على الحديث رقم ٨٧٠ حيث قال بعده :

(قال أبو داود : وهذه الزيادة نخاف ألاّ تكون محفوظة . قال أبو داود انفرد أهل مصر باسناد هذين الحديثين : حديث الربيع وحديث أحمد بن يونس) (٤) .

ومن هذه الفوائد الحديثية : إشارته إلى أنّ هذا الحديث لم يسند إلا من هذا الطريق كما جاء في تعليقه على الحديث رقم ١٥ حيث قال : (قال أبو داود : هذا لم يسنده إلا عكرمة بن عمار) (٥) .

ومن الفوائد الحديثية ما يجريه من الموازنة بين روايتين يوردهما .

فقد أورد الحديثين ١٠٥٣ و ١٠٥٤ ؛ أحدهما في أنّ كفارة من ترك الجمعة دينار ، وهو عن همّام . وثانيهما في أن كفارة من ترك الجمعة درهم — وهو عن أبي العلاء أيوب . وقال بعد أن أوردهما :

(قال أبو داود : سمعت أحمد بن حنبل يُسأل عن اختلاف هذا الحديث فقال : همّامٌ عندي أحفظ من أيوب يعني أبا العلاء) (٦) .

وكذلك فقد أورد الحديث ١٠٢٤ وهو :

(حدَّثنا مُحَمَّدُ بنُ العَلاء ، ثنا أبو خالدٍ ، عَن ابنِ عَجْلانَ ، عَنْ زَيْد بنِ اسْلَم ، عَنْ عَطَاء بن يَسَارٍ ، عَنْ أبي سَعيد الخُدريّ قالَ : قَالَ رسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عليهِ وسَلّمَ : «إذَا

---

(١) « الحديث النبوى » ص ١٩٢
(٢) « السنن » ٥٦/١
(٣) « السنن » ٧٦/١
(٤) « السنن » ٣١٩/١
(٥) « السنن » ٣٢/١
(٦) « السنن » ٣٨٠/١

شكَّ أحدُكُمْ في صلاتِهِ فليُلْقِ الشكَّ وليبنِ على اليقين، فإذا استيقنَ التمامَ سجدَ سجدتينِ فإن كانت صلاتُهُ تامةً كانتْ الركعةُ نافلةً والسجدتانِ. وإنْ كانتْ ناقصةً كانت الركعةُ تماماً لصلاتِهِ وكانتِ السجدتانِ مُرْغمتيْ الشيطانِ » .

قال أبو داود : رواه هشام بن سعد ومحمد بن مطرف عن زيد عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وحديث أبي خالد أشبع) (١) .

واكتفى بهذه الموازنة ولم يورد حديث ابن سعد ولا ابن مطرف .

وقد يعبر عن تفضيله لاحدى الروايتين بأن حديث فلان أتم ، كما صنع في الحديث رقم ٤٥ حيث قال :

(قال أبو داود : وحديث الأسود بن عامر أتم) (٢) وكما صنع في الحديث رقم ٦٢ فقد رواه عن محمد بن يحيى عن عبدالله بن يزيد ثم أورد تحويلا فقال : (ح وحدثنا مسدد ، ثنا عيسى بن يونس قالا : ثنا عبدالرحمن ابن زياد . قال أبو داود : وأنا لحديث ابن يحيى أتقن) وبعد أن أورد الحديث قال :

(قال أبو داود : وهذا حديث مسدد وهو أتم) (٣) .

ومن الفوائد الحديثة التي نجدها في التعليقات ما يتصل بمفهوم المصطلحات كالمرسل ، فإنّ المرسل عند جمهور العلماء هو الحديث الذي سقط منه الصحابى ومنهم من يعم فيطلق المرسل على كل حديث سقط منه راو ، ويبدو أن أبا داود من هؤلاء ؛ يدل على ذلك تعليقه على الحديث ٨٨٦ وسنده : (حدثنا عبدالملك بن مروان الأهوازي ، ثنا أبو عامر وأبو داود عن ابن أبي ذئب عن اسحاق بن يزيد الهذلي ، عن عون بن عبدالله عن عبدالله بن مسعود ... الخ..)

قال أبو داود : (هذا مرسل : عونٌ لم يدرك عبدالله) (٤) .

× × ×

ومن الفوائد الحديثية أنه يذكر أحياناً أنّ هذا الراوي لم يخرج له في كتابه إلا هذا الحديث كما صنع في الحديث ١٠٣٦ فقد أخرجه عن جابر الجعفي وهو رافضي كذاب ، فقال بعد أن أورده :

(قال أبو داود : وليس في كتابي عن جابر الجعفي إلا هذا الحديث) (٥) .

---

(١) « السنن » ١/٣٧٠ قال في «عون المعبود» ١/٣٩٢ : اشبع اى واكمل
(٢) « السنن » ١/٤٢ (٣) « السنن » ١/٤٨
(٤) « السنن » ١/٣٢٤ (٥) « السنن » ١/٣٧٣ــ٣٧٤

وكأنه يعتذر بذلك لضعف جابر ، وأظنُّ أن مثل هذا التعليق إنما كان من أبي داود في قراءاته المتأخرة للكتاب وليس من تأليفه الأول .

٤ _ التعريف بالأمكنة

ويشغل هذا المقصد حيزاً ليس بالقليل من التعليقات ، ويبحث أبو داود في هذا الأمر بحثاًموضوعياً ميدانياً – على التعبير الشائع – فيقوم بنفسه بقياس الأمكنة المذكورة في الحديث ورؤيتها والبحث في التطورات التي حصلت عليها ويصفها كما رآها .

وهذا تفكير علمي صحيح وأسلوب من التحقيق اليقيني في مثل هذه الموضوعات،ومن الأمثلة على ذلك تحقيقه لموضع (بئر بُضاعة) وقياسها ووصفها ؛ فهو بعد أن أورد الحديث المشهور عن هذه البئر التي سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الوضوء فيها على الرغم مما يطرح فيها من الفضلات فقال صلى الله عليه وسلم: « الماءُ طهورٌ لا ينجسه شيء » . وبعد أن أورد المؤلف روايتين للحديث قال :

(قال أبو داود : وسمعت قتيبة بن سعد قال : سألتُ قَيِّمَ بئر بضاعة عن عمقها . قال : أكثر ما يكون فيها الماء إلى العانة . قلت : فإذا نقص ؟ قال : دون العورة .

قال أبو داود : وقدرت أنا بئر بضاعة بردائي مددته عليها ثم ذرعته ، فإذا عرضها ستة أذرع . وسألت الذي فتح لي باب البستان فأدخلني إليه : هل غُيِّر بناؤها عما كانت عليه ؟ قال : لا . ورأيت فيها ماء متغير اللون) (١) فهو أولا يروي ما سمعه عن قتيبة بن سعد ويقره عليه ؛ لأنه بعد أن زار البئر لم يذكر لنا خلاف ما روى .

ثم يذكر أنه هو بنفسه قاسها فوجد عرضها ستة أذرع ، ويحكي لنا الطريقة التي استخدمها في هذا القياس وهي مدّ ردائه عليها ثم ذرعه ، ويحكي لنا أنه خشي أن يكون بناؤها قد غير عما كان عليه زمن الرسول ، فسأل المشرف عليها الذي فتح له باب البستان الذي يضمها . فتأكد من أنها على حالها ثم وصف الماء الذي فيها بأنه متغير اللون .

وهذا صنيع علمي دقيق محمود .

وكذلك فقد عرَّف المكان الوارد في الحديث ٣٧ وهو حصن باب أليون فقال : (قال أبو داود:حصن أليون بالفسطاط على جبل) (٢) .

---

(١) « السنن » ١/٤٩-٥٠ (٢) « السنن » ١/٤٠

٥ - ذكر مناسبة ورود الحديث

ص التعليقات إيراده مناسبة الحديث وغالباً ما يفعل ذلك إذا كان فيه تعارض مع حديث آخر .

مثال ذلك أنه أورد حديثاً يمنع الالتفات في الصلاة (١) وهو برقم ٩٠٩ ثم جاء بحديث آخر برقم ٩١٦ يرخص في ذلك ، وفيه (فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ يُصَلِّي وَهُوَ يَلْتَفِتُ إلى الشِّعْبِ) (٢)

قال أبو داود : (وكان أرسل فارساً إلى الشعب من الليل) (٢) وقد أورد الحديث مفصلاً (٣) برقم ٢٥٠١

وكأني به يريد أن يقول إن الأصل عدم الالتفات إلا أن يكون هناك داعٍ تحتمه المصلحة كما في هذا الحديث ؛ اذ أن الرسول صلى الله عليه وسلم أرسل فارساً إلى الشعب ليلاً يحرس، فلما وقف صلى الله عليه وسلم لصلاة الصبح جعل يلتفت ، لهذا الاعتبار .

ومن المفيد أن نشير إلى أن هناك كتباً ألفت في بيان مناسبات الحديث من أشهرها كتاب « البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف » (٤) للعلامة المحدث السيد إبراهيم بن محمد كمال الدين نقيب مصر ثم الشام الشهير بابن حمزة الحسيني الدمشقي المتوفى سنة ١١٢٠ .

٦ - شرح الكلمات

ص أكثر التعليقات وروداً شرحه الكلمات الواردة في الأحاديث وهو على أنواع :

فمنها شرحه المفردة الغريبة دون أن يذكر في الشرح أحداً من العلماء والشراح كما فعل في الحديث ١٣٢ حيث قال : (حَتَّى بَلَغَ القَذَالَ وَهُوَ أَوَّلُ القَفَا) (٥) وكذلك فعل في الحديث ١٤٢ قال : (فَأَتَيْنَا بِقِنَاعٍ وَالقِنَاعُ الطَّبَقُ فِيهِ تَمْرٌ)(٦) ومن الملاحظ أنَّ هذه الشروح وردت خلال النصّ ، وأحياناً يكون الشرح عقبه ، وهكذا فعل في الحديث ٩٤٧ وهو: (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : نَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلّم عَنِ الاخْتِصَارِ في الصَّلاةِ، قَالَ أبو داوُد يَعْنِي يَضَعُ يَدَهُ عَلَى خَاصِرَتِهِ)(٧).

وكذلك فعل في الحديث ٣٧١٥ وهو : (قَالَتْ سَوْدَةُ : بَلْ أَكَلْتَ مَغَافِير . قَالَ: بَلْ شَرِبْتُ عَسَلاً سَقَتْنِي حَفْصَةُ . فَقُلْتُ : جَرَسَتْ نَحْلُهُ العُرْفُطَ . (قال أبو داود : المغافير : مقلة ، وهي

---

(١) « السنن » ٣٣١/١ (٢) « السنن » ٣٣٢/١
(٣) « السنن » ١٤/٣ (٤) وقد طبع هذا الكتاب بمطبعة البهاء بحلب سنة ١٣٢٩ هـ بمجلدين
(٥) « السنن » ٦٨/١ (٦) « السنن » ٧١/١
(٧) « السنن » ٣٤٣/١

صمغة . وجرست : رعت العرفط : نبت من نبت النحل) (١) .

وقد ينقل هذا الشرح عن عالم من علماء غريب الحديث :
كما في الحديث ٣٦٨٥ وهو : نَهَى صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلّمَ عَنِ الخمْرِ والمَيْسِرِ والغُبَيْراء وقَالَ : « كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٍ » . قال أبوداود : (قال ابن سلام أبوعبيد : الغبيراء السكركة تعمل من الذرة ، شراب يعمله الحبشة) (٢) .

وقد تكون الكلمة واضحة المعنى في ذاتها غير أن المراد منها يحتاج إلى إيضاح فيتولى شرح ذلك .

كما في الحديث ٦٦٦ الذي ورد فيه قوله صلى الله عليه وسلم : « ولينوا بأيدي إخوانكم » فقال في شرحها : (قال أبو داود: ومعنى « لِينُوا بأيْدي إخْوانِكُم » . إذا جاء رجل إلى الصف فذهب يدخل فيه، فينبغي أن يلين له كل رجل منكبيه حتى يدخل في الصف) (٣) .

وكما في حديث أنس برقم ٤١٣ الذي فيه (حتى إذا اصفرت الشمس) فقد أورد بعد ذلك شرحاً لهذه الجملة مسبوقاً بسند ينتهي إلى الأوزاعي صاحب الشرح فقال :

(حدثنا محمود بن خالد ، ثنا الوليد ، قال : قال أبو عمرو — يعني الأوزاعي — : وذلك أن ترى ما على الأرض من الشمس صفراء) (٤) .

وقد يكون شرحه للكلمة بياناً للحكم الفقهي . مثال ذلك شرحه لكلمة (عجماء) الواردة في الحديث ٤٥٩٣ من قوله صلى الله عليه وسلم : « العَجْماءُ جرْحُها جُبَار » . فقال :

(قال أبو داود : العجماء : المنفلتة التي لا يكون معها أحد وتكون بالنهار لا تكون بالليل) (٥) .

فهو في هذا الشرح إنما يبين المراد من كلمة العجماء في الحديث ممزوجاً بالحكم الفقهي ولا يشرح الكلمة من الناحية اللغوية ، فبيّن أنّ جرحها جبار عندما تكون منفلتة ليس معها أحد ، وهذا خاص بالنهار. أما في الليل فلا بد من مسؤولية تترتب على صاحبها إن فرط (٦) .

---

(١) « السنن » ٤٥٨/٣ (٢) « السنن » ٤٤٩/٣
(٣) « السنن » ٢٥٢/١ (٤) « السنن » ١٦٨/١
(٥) « السنن » ٢٧٣/٤
(٦) جاء في « عون المعبود » ٣٢٣/٤ قال النووي : اجمع العلماء على أن جناية البهائم لا ضمان فيها ، فان كان معها راكب أوسائق أو قائد فجمهور العلماء على ضمان ما اتلفته وأما اذا اتلفت ليلا فقال مالك : يضمن صاحبها ما اتلفته وقال الشافعي واصحابه يضمن ان فرط في حفظها والا فلا

٧ ـ آراء فقهية

سبق أن رأينا أن آراء الرجل الفقهية نستطيع أن نجدها في عناوين الأبواب من كتابه ونود هنا أن نتحدث عن الآراء الفقهية الكثيرة التي نقف عليها خلال تعليقاته على الأحاديث في كتاب السنن. ويمكن أن تصنّف آراؤه أنواعاً عدة :

فمن هذه الآراء الفقهية آراء ينسبها لجماعة من الصحابة أو التابعين .

فهو يقول بعد الحديث ١٥٩ :

(قال أبو داود : ومَسَح على الجوربين عليُّ بن أبي طالب وابن مسعود ، والبراء بن عازب ، وأنس بن مالك وأبو أمامة ، وسهل بن سعد وعمرو بن حريث ، وروي ذلك عن عمر بن الخطاب وابن عباس) (١) وهو في هذا يؤيد القول بالمسح على الجوربين بنقله عن هؤلاء الصحابة الذين يرون هذا الرأي .

ويقول في باب سجود السهو تعليقاً على الحديث ١٠٣٥ (قال أبو داود : وكذلك سجدهما ابن الزبير قام من ثنتين قبل التسليم ، وهو قول الزهري) (٢)

وفي باب الاحتباء والامام يخطب أورد حديثين :

أولهما : برقم ١١١٠

عَن مُعَاذِ بنِ أنَس أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم نَهى عنِ الحبْوَةِ يَوْمَ الجُمُعَةِ والإمَامُ يَخْطُبُ ، وفي سند هذا الحديث سهل بن معاذ وأبو مرحوم، وقد تكلم فيهما .

ثانيهما : برقم ١١١١

عَن يَعْلَى بن شَدَّادٍ قالَ : شَهِدتُ مَع مُعاوِيةَ بَيْتَ المَقْدِسِ فَجَمَّعَ بِنَا ، فَنَظَرْتُ فَإذا جُلُّ مَنْ في المَسْجِدِ أصحَابُ النَّبيِّ صلى الله عَلَيهِ وسَلَّمَ فَرَأيْتُهُم مُحْتَبِينَ والإمامُ يَخطُبُ

قال أبو داود : كان ابن عمر يحتبي والامام يخطب وأنس بن مالك وشريح وصعصعة بن صوحان ، وسعيد بن المسيب وابراهيم النخعي ، ومكحول ، واسماعيل بن محمد بن سعد، ونعيم بن سلامة قال : لا بأس بهما .

---

(١) « السنن » ٧٨/١ (٢) « السنن » ٢٧٢/١

قال أبو داود : ولم يبلغني أنّ أحداً كرهها إلا عبادة بن نُسَيّ) (١)

وكأن إيراده ذلك عنهم بعد أن أورد حديثين متعارضين تأييد لأحدهما ورد للآخر ، وقد رأينا أنّه ردّ حديث النهي عن الحبوة بأن في سنده رجلين تكلم فيهما .

وكذلك فعل بعد الحديث ١٥٢ . قال :

(قال أبو داود : أبو سعيد الخدري وابن الزبير وابن عمر يقولون من أدرك الفرد من الصلاة عليه سجدتا السهو) (٢) .

وقد يورد آراء بعض التابعين، والأمثلة كثيرة يطول ذكرها .

وقد ينقل آراء العلماء التي تتضمن آراء فقهية ، فمن ذلك نقله أقوال العلماء في تحديد بعض المقادير.

كما فعل بعد أن أورد حديث اغتسال النبي صلى الله عليه وسلم بالصاع ووضوئه بالمدّ رقم ٩٥ قال :

(قال أبو داود : وسمعت أحمد بن حنبل يقول : الصاع خمسة أرطال ،وهو صاع ابن أبي ذئب وهو صاع النبي صلى الله عليه وسلم) (٣) .

ومن أمثلة نقله آراء العلماء الفقهية تعليقه على الحديث ٨٨٤ قال :

(قال أبو داود : قال أحمد : يعجبني في الفريضة أن يدعو بما في القرآن) (٤) .

وقد وجدت أبا داود في نقله آراء العلماء الفقهية يغلب عليه الاختصار والايجاز ، وقد وجدتهمرة يطيل في نقل ذلك إطالة تلفت النظر ، وذلك في باب (من قال إذا أقبلت الحيضة تدع الصلاة) . (٥)

ومن هذه الآراء الفقهية آراء اجتهادية تثبت لنا مقدرته الفقهية ووزنه الراجح في ذلك وهذا كثيرونكتفي بالاشارة إلى بعض الأمثلة .

علق على الحديث رقم ٣٤٢ التعليق الآتي :

---

(١) « السنن » ٢٩٧/١
(٢) « السنن » ٧٥/١
(٣) « السنن » ٥٧/١
(٤) « السنن » ٣٢٣/١
(٥) « السنن » ١١٨/١

قال أبو داود : إذا اغتسل الرجل بعد طلوع الفجر أجزأه من غسل الجمعة وإن أجنب) (١) .

وأورد حديثين في قراءة صلاة المغرب أحدهما يدل على الاطالة وهو برقم ٨١٢ والآخر يدل على التخفيف وهو برقم ٨١٣ ثم ذهب إلى أن حديث التخفيف في القراءة نسخ حديث الاطالة فقال : (قال أبو داود : هذا يدل على أن ذاك منسوخ وهذا أصح) (٢) .

وأورد عدداً من الأحاديث الصحيحة عن عثمان رضي الله عنه في مسح الرأس فقال :

(قال أبو داود : أحاديث عثمان رضي الله عنه الصحاح كلها تدل على مسح الرأس أنه مرة ، فإنهم ذكروا الوضوء ثلاثاً ، وقالوا فيها : (ومسح رأسه) ولم يذكروا عدداً كما ذكروا في غيره) (٣) .

ففي هذا التعليق رأي أبي داود الفقهي في مسألة مسح الرأس في الوضوء وأنه مرة واحدة .

وفيه طريقة الاستنتاج وهي المقارنة بين المغسول والممسوح ، فقد ذكروا العدد في غير المسح ولم يذكروه في المسح .

ومن هذه التعليقات تعليقات أصولية كما ترى في تعليقه على الحديث رقم ٧٢٠ فقد أورد أبو داود أحاديث متعارضة في قطع الصلاة ، وذكر عقب ذلك الخطة التي ينبغي أن ننتهجها إزاء ذلك فقال :

(قال أبو داود : إذا تنازع الخبران عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر إلى ما عمل به أصحابه بعده) (٤) وفي

التعليقات روايات عن بعض التابعين يعلل فيها حكماً منقولاً عن النبي صلى الله عليه وسلم .
فقد جاء بحديث عبدالله بن سرجس وهو برقم ٢٩ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ نَهَى أن يُبالَ في الجُحْرِ . قال (٥) : قالوا لقتادة : ما يكره (٦) من البول في الجحر ؟

قال : كان يقال : إنها مساكن الجن (٧) .

فنحن نرى أنَّ أبا داود يورد كلام قتادة كتعليل للحكم ، وقتادة يورده على صيغة لا تدل على الجزم : (كان يقال ...) .

٨ - المصطلحات

في تعليقات أبي داود عدد من المصطلحات نذكر منها ما يلي :

---

(١) « السنن » ١٤٤/١ (٢) « السنن » ٢٩٩/١
(٣) « السنن » ٦١/١ (٤) « السنن » ٢٦٨/١ وهذا شبيه بالاصل الذى يقولون ان الامام مالكا يأخذبه وهو عمل اهل المدينة
(٥) أى الراوى (٦) اى لم يكره كما في « عون المعبود » ١٢/١
(٧) « السنن » ٣٧/١

(وذكر الحديث) (ساق قريباً من حديث فلان) (ساق الحديث نحوه) (باسناده ومعناه) (بمعناه) .

وانظر الأحاديث١١١ – ١١٢ – ١١٣ – ١٨٣ – ٣٤ ويبدو أنّ مقتضى الاختصار مع الدقة والوضوح هو السبب في استعمال المؤلف لهذه المصطلحات ، لأن هذه المصطلحات أنما يوردها أبو داود بعد أن يأتي بحديث ويريد أن يأتي بآخر .

ورأيته مرة استعمل كلمة (مقصور) بدل كلمة (موقوف) وكلمة (أسنده) بدل (رفعه) .

وذلك في الحديث ١٠٥٦ وهو : (حدثنا مُحَمَّد بن يَحيى بن فارس، ثنا قَبيصَة ، ثنا سُفْيانُ ، عن مُحَمَّد بن سَعيد ، عن أبي سَلمَة بن نبيه عن عَبد الله بن هارُون عن عَبد الله بن عَمْرو ، عَنِ النَبيّ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلَّم قال : « الجُمعةُ على كُلٍّ مَنْ سَمِعَ النّداء » . ثم قال : (قال أبو داود : روى هذا الحديث جماعة عن سفيان مقصوراً على عبدالله بن عمرو . ولم يرفعوه وإنما أسنده قبيصة) (١) .

× × ×

تعليقات غامضة

وهناك بعض التعليقات الغامضة التي لا تفهم إلا بعد طول نظر وتأمل، ومن ذلك التعليق الآتي مع سند الحديث رقم ٩٧٥ .

حَدَّثَنا مَحمُود بنُ دَاود بن سُفيَان ، ثَنا يحيى بن حَسَّان ثَنا سُليْمان بن موسى أبو داود ، ثنا جعفر بن سعد بن سمرة بن جندب ، حدثني خبيب بن سُلَيمانَ بنِ سَمُرة عَنْ أبيهِ سُلَيمانَ بن سَمُرة . عَنْ سَمُرةَ بن جُنْدُبْ أمّا بَعْدُ أمرَنَا رسولُ اللهِ صَلى الله عليه وسلم إذا كانَ في وَسَطِ الصَّلاةِ أو حِين انقِضَائِها فابدؤوا قَبْل التَّسْليمِ فقُولُوا : التَّحيَّاتُ الطَّيِّبَاتُ والصَّلَوَاتُ والمُلْكُ للهِ ثم سَلِّموا عَلى اليَمين ثمَّ سَلِّموا عَلى قَارِئِكُمْ وعَلى أنفُسِكُمْ .

قال أبو داود : سليمان بن موسى كوفي الأصل كان بدمشق .

قال أبو داود : دلت هذه الصحيفة على أن الحسن سمع من سمرة) (٢).

---

(١) « السنن » ١/٣٨١
(٢) « السنن » ١/٣٥٣

وغموض التعليق جاء من أنه لم يرد للحسن ولا للصحيفة ذكر.
وشرح هذا التعليق كما يأتي : قال في «عون المعبود» :

(وفي سنن أبي داود في باب اتخاذ المساجد في الدور : عن سمرة بن جندب أنه كتب إلى بنيه : (أما بعد فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ...) الحديث فثبت أنه كان عند أبناء سمرة صحيفة من سمرة ، وأنهم جمعوا ما كتب إليهم سمرة فصارت هذه المكاتيب بمنزلة الصحيفة والكتاب .

وأما قول المؤلف : (دلت هذه الصحيفة ...) فوجه دلالتها وتعلقها بالباب أن هذا اللفظ الذي رواه سليمان بن سمرة عن أبيه بقوله (أما بعد فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم..) من ألفاظ الصحيفة التي أملاها سمرة ورواها عنه ولده سليمان ، فأراد أبو داود أن سليمان بن سمرة كما صح سماعه من أبيه بهذه الصحيفة وغيرها كذلك الحسن البصري صح سماعُه بهذه الصحيفة وغيرها من سمرة لأن كلاً منهما أي سليمان ابن سمرة وكذا الحسن بن يسار من الطبقة الثالثة،فدل ذلك أن الحسن سمع من سمرة كما أن سليمان بن سمرة سمع من أبيه سمرة لأنهما من الطبقة الثالثة فلما سمع سليمان من أبيه سمرة فلا مانع أن يكون الحسن سمع منه وأن أبا داود من القائلين بأن الحسن البصري ثبت سماعه من سمرة ..) (١) .

× × ×

مخطوطات كتاب سنن أبي داود

ذكر بروكلمان وفؤاد سزكين مواضع وجود مخطوطات كاملة ومخطوطات ناقصة من هذا الكتاب، وقد كدت أنقل ذلك بأرقامه وعدد صفحات الموجود منه ، ولكني لم أجد في ذلك كبير فائدة فرأيت أن أشير إلى أماكن وجودها ، وبإمكان الراغب في الاطلاع عليها أن يرجع إلى هذين الكتابين :

برلين — ميونخ — باريس — يني جامع — أيا صوفيا — نور عثمانية — كوبريلي — مراد ملا — سليم آغا — شهيد علي — حكيم — الفاتح — جارالله — حسن حسني — الحميدية — خالد أفندي — مهرشاه — لاله لي — فيض الله رئيس الكتاب — مكتبة جامعة استامبول — عاطف — أنقرة صائب الرباط — تشستربيتي — منجانا — تيمور — طلعت — بلدية الاسكندرية — الأوقاف ببغداد — عليكرة — سبحان — بريل — بودليانا — الجزائر — دمشق — حلب — داماد زاده — سليمانية — يوسف آغا — تلمسان — مكتبة القرويين بفاس — مكتبة جامع الزيتونة — بنيكيبور — آصفية — رامبور — المتحف البريطاني .

---

(١) «عون المعبود» ١/٣٦٩ — ٣٧٠

وكنت أتمنى لو أنه كان بإمكاني أن أتعرف إلى كل من هذه المخطوطات وبأية رواية هي ؟ وهناك مخطوطات أخرى في غير هذه الأمكنة ولكننا لم نقف عليها .

ولعلّ من أهمها تلك المخطوطة النفيسة التي وقف عليها الصديق العلامة الزميل الدكتور محمد مصطفى الأعظمي وقد أخبرني أنها موجودة في المكتبة المحمودية في المدينة المنورة ، وقد ابتدأت بأحاديث من الباب الذي يسبق باب (من ترك القراءة في صلاته) وانتهت بباب (صوم الدهر تطوعاً) . وهي برواية أبي بكر محمد بن بكر .. ابن داسة وعليها سماعات وقراءات ، وعورضت النسخة بأصل الشيخ أبي الحسن ماسرجسي رحمه الله وذكر الاختلاف بهامش النسخة .

ولعلّ من أهم هذه المخطوطات مخطوطة نفيسة لا أدري مكان وجودها على وجه اليقين وإن كنت أظن أنها موجودة في مكة وقد وقفت على أمرها من نظري في نسخة سنن أبي داود المطبوعة التي كان يملكها الشيخ عبدالظاهر أبو السمح . إمام الحرم المكي رحمه الله ، فقد قابل بعض طلبة العلم نسخة السنن المطبوعة باشراف محمد محيي الدين عبدالحميد على هذه المخطوطة وقد نظرت فيها وافدت منها كثيراً .

× × ×

طبعاته

طبع هذا الكتاب مرات عديدة ، ولكنه لم يطبع حتى الآن طبعة محققة . ونورد فيما يأتي الطبعات التي ذكرها سركيس وبروكلمان وسزكين ونزيد عليها ما وقفنا عليه . وكنت أود أن أتكلم على كل طبعة بكلمة وصفية نقديه ، غير أن ذلك لم يتيسر لي الآن لأنني لم أستطع رؤية جميع هذه الطبعات وقد تتهيأ لي فرصة في المستقبل لذلك :

١ – طبع بجزأين في المطبعة الكاستيلية بمصر سنة ١٢٨٠هـ بعناية الشيخ نصر الهوريني رحمه الله (١) .

٢ – وذكر بروكلمان (٢) أنه طبع سنة ١٢٧١ – ١٢٧٢ في دهلي بالهند .

٣ – وطبع بجزأين مع شروح على الهامش في الهند بدهلي سنة ١٢٨٣ .

٤ – وطبع جزء واحد منه مع شروح على الهامش في دهلي سنة ١٨٩٠ م وعدد صفحاته ١٦٨ .

٥ – وطبع بجزء واحد في لكناو سنة ١٨٤٠ .

٦ – وطبع في لكناو سنة ١٨٧٧ – ١٨٨٨ .

---

(١) انظر « مقدمة محيي الدين عبد الحميد ص ١٩ » .

(٢) انظر « تاريخ الادب العربي » ٣/١٨٧

[٧] ـ وطبع في لكناو سنة ١٣٠٥ .
[٨] ـ وطبع بجزء واحد في حيدر آباد سنة ١٣٢١هـ وصفحاته ٣٩٣ .
[٩] ـ وطبع بجزأين مع شرح لأبي الحسنات محمد القنجاني وذلك في لكناو سنة ١٣١٨هـ .
[١٠] ـ وذكر بروكلمان أنه طبع أيضاً بهامش شرح الموطأ للزرقاني سنة ١٣١٠هـ ـ ١٣٢٠هـ في القاهرة .
[١١] ـ وطبع بأربعة أجزاء مع شرح واسع جيد وهو «عون المعبود» في الهند سنة ١٣٢٣ ، وسنتحدث عن هذا الشرح فيما بعد ، والذي يهمنا هنا هو متن أبي داود، وأستطيع أن أقرر أن هذه الطبعة هي أصح ما رأيت من الطبعات وأفضلها وأكثرها تحقيقاً .

فقد ذكر الشارح الأستاذ العظيم الأبادي أنه ظفر بإحدى عشرة نسخة من سنن أبي داود وكلهامن رواية اللؤلؤي إلا نسخة واحدة فهي من رواية ابن داسة .

فقابل هذه النسخ بعضها على بعض ورجع إلى عشرات الكتب الأمهات من كتب الأئمة المتقدمين ، واستطاع أن يميز رواية اللؤلؤي وأن يورد كل الروايات التي وصلت إليه وقال :

(فصار هذا المتن والشرح جامعاً لرواية ابن داسة وابن العبد وابن الأعرابي أيضاً ، بل فيه بعض رواية الرملي أيضاً لكنه قليل جداً) (١) .

ويبدو أنه قد بذل غاية الجهد ، ولولا أنّ هذه الطبعة حجرية على الطريقة التي لا يزال إخواننا الهنود يجرون عليها في الطباعة وأنها خالية من الترقيم لكان ينبغي أن يعتمد عليها جل الاعتماد .

[١٢] ـ وطبع في مصر سنة ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م طبعة سقيمة تجارية في مطبعة مصطفى البابي الحلبي وكتب على هذه الطبعة : (تعليقات لفضيلة الاستاذ الشيخ أحمد سعد علي من علماء الأزهر الشريف) كذا كتب على الورقة الغلاف .

والجدير بالذكر أن التعليقات نادرة وهي قليلة القيمة العلمية ، والأستاذ المذكور وقّع بلقب (رئيس التصحيح بمطبعة مصطفى البابي الحلبي) وهذه الطبعة جمعت مساوىء عدة من رداءة الورق وسوء الحرف وازدحام الصفحات وخلوها من الترقيم والتنقيط وقد ظهرت في جزأين صفحات الأول ٥٩٥ وصفحات الثاني ٦٨٠ .

[١٣] ـ طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد

طبع هذا الكتاب على ورق صقيل وبحرف جميل بتحقيق الاستاذ محمد محيي الدين عبدالحميد رحمه الله .

---

(١) «عون المعبود» ٤/٥٤٩ .

وكانت طبعته الأولى سنة ١٣٥٤هـ – ١٩٣٥م . وذكر في المقدمة أنه رجع إلى مخطوطات ومطبوعات ولكنه لم يذكر بالتفصيل ماهي هذه المخطوطات التي رجع إليها وأين مكان وجودها ، ويبدو أنّه بالغ في ذلك مبالغة ظاهرة ، ويكاد يظن المرء أنّ الرجل لم يرجع إلا إلى مطبوعة اعتمدها وأدخل فيها شيئاً من التعديلات التي أخذها عن مطبوعة أخرى . لأن الجهد الذي يبذله الانسان لا بُدّ أن يظهر له أثر ولا سيما بالنسبة لمن عانى أمور التحقيق وقد صدرت هذه الطبعة في أربعة أجزاء مرقمة الأحاديث واستعمل المحقق فيها علامات الترقيم .

ولكننا لا نجد في حواشيها إلا تعليقات يسيرة جداً وليس في هذه التعليقات تخريج للأحاديث النبوية لأنه فيما يبدو لم يكلف نفسه في الطبعة الأولى عناء الرجوع إلى كتاب المنذري الذي أتيح له فيما بعد أن ينقل منه ثم صدرت الطبعة الثانية سنة ١٣٦٩هـ – ١٩٥٠م .

وفي هذه الطبعة أضاف إلى متن الكتاب إضافات كان يضعها بين معقوفتين ولم يذكر عنها شيئاً في المقدمة كما أضاف إلى تعليقاته تخريجاً للأحاديث وهو مأخوذ بحذافيره من كتاب المنذري ولم يذكر عنه شيئاً في المقدمة، والحق أنني وقفت على كثير من سرقات الأستاذ محمد محيي الدين عبدالحميد وادعائه كلام غيره لنفسه وظلم العلماء الأقدمين وكتبت ما واجهته من ذلك في دراسة كنتُ أعددتها لكتاب شرح قطر الندى لابن هشام من نحو عشرين سنة سقت الأدلة الكثيرة ، وما كنت أحب أن أذكر ذلك بعد أن توفي إلى رحمة الله غفر الله لنا وله، ولكن الشيء الذي راعني هو أن ينقل تعليقات الحافظ المنذري بكاملها وبحروفها دون أن يشير إلى ذلك في المقدمة .

ولو أنه فعل ذلك لأعطى لهذه التخريجات من القوة والرجحان والتوثيق شيئاً كثيراً ذلك لأن المنذري حافظ عظيم ومن المشتغلين بالسنة فعندما يكون تخريج الحديث منسوباً إليه فإن ذلك ادعى لأن يقبله القارىء ويتبناه عن قناعة لا تتوافر إلا للقلة من العلماء المحققين أمثال المنذري رحمه الله .

ويفيد في هذا المجال أن نقرر أن المنذري رحمه الله ذكر في مقدمة « مختصره » نهجاً علمياً دقيقاً فقال : (واذكر عقيب كل حديث من وافق أبا داود من الأئمة الخمسة على تخريجه بلفظه أو نحوه)(١) .

ولم يذكر الأستاذ المحقق مثل ذلك ، فأوهم بإغفاله ذلك أن الحديث مخرج عند من ذكرهم المنذري ونقلهم عنه المحقق مخرّج بلفظه وربما لا يكون كذلك أما الشروح التي ذكرها الأستاذ المحقق رحمه الله فعلى الرغم من أنها في غاية الانجاز فإنها كذلك مأخوذة غالباً من شرح الخطابي بالحرف الواحد ولم ينسبها إليه ، فأوهم أنها من عنده .

(١) « مختصر المنذري » ١٣/١

أما تعليقاته بشأن الرجال فليس هناك نهج يحكمه ، فبينما هو يذكر لك في بعض الحالات الرأي في بعض الرجال إذا هو يسكت في الغالب ولا يورد شيئاً ، ويبدو أنه لم يكن يكلف نفسه عناء التنقيب في بطون الكتب ، بل كان إذا صادفه شيء في أقرب شرح له ذكره .

ومن ملاحظاتنا أنه لم يلتزم نهجاً واضحاً في الترقيم .

فقد يعطي الخبر المنقول عن عالم من العلماء رقماً كما في الحديث ٧٦٩ وقد نقل فيه رأياً لمالك وهو : (لا بأس بالدعاء في الصلاة في أوله وأوسطه وآخره في الفريضة وغيرها) (١) والنهج السليم في نظري أن لا يعطي لآراء العلماء أرقاماً يدخلها في أرقام الأحاديث ، وأن يقتصر في الترقيم على الأحاديث . وكذلك فإن ترقيم الأحاديث ينبغي أن يراعى فيه واحد من أمور ثلاثة : فإما أن يكون الترقيم تابعاً لمتن الحديث ، وإما أن يكون تابعاً للصحابي الذي أخرجه وإما أن يكون تابعاً لشيخ المؤلف الذي تلقى عنه الحديث ، والغالب أن المحقق استخدم الأخير ولكنه لم يلتزم ذلك بدقة .

ففي صفحة ٦٠ أحاديث عدة عن عليّ رضي الله عنه أعطاها أرقاماً لاختلاف شيخ المؤلف ولكنه في صفحة ٢٤٨ لم يعط رواية اختلف الشيخ فيها والصحابي عن الرواية المتقدمة ولم يعط الثانية رقماً ، ومهما يكن من أمر هذه الطبعة فقد أدت خدمة وسدّت ثغرة فجزى الله ناشرها ومحققها خيراً .

× × ×

الكتب التي ألفت حول السنن

وقفت على أسماء عدد كبير من الكتب التي ألفت حول السنن وقد اتيح لي أن أطلع على بعض ما وصل إلينا منها ، أما الباقي فبين مخطوط ومفقود .

ونستطيع أن نصنف الكتب التي ألفت حول السنن في زمر ثلاث :

١ — شروح .

٢ — مختصرات .

٣ — دراســـات .

الشروح : شرحَ السنن كثيرون نذكر أهمهم فيما يأتي :

١ - شرح الخطابي : من أنفع الشروح وأقدمها وعنوانه (معالم السنن) لأبي سليمان حمْد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي المتوفى سنة ٣٨٨ وهو منسوب إلى زيد بن الخطاب .

---

(١) « السـنن » ١/٢٨٤

وهو يشرح المفردات الغريبة والكلمات التي تحتاج إلى شرح شرحاً لغوياً واسعاً يدل على معرفة متبحرة باللغة وقد يستشهد لشرحه بأبيات أو جمل مأثورة عن العرب . ويشرح المراد من الجملة ، ثم يشرح الحديث ويوفق بينه وبين ما روي على وجه قد يُظن أن فيه خلافاً .

ثم يتحدث عن فقه الحديث ويذكر آراء العلماء في موضوع الحديث ، ويرجح الرأي الذي يرتضيه من هذه الآراء .

ثم يذكر ما في الحديث من الفوائد والاستنباطات الأخرى مما قد لا يتصل بعنوان الباب .

طبع هذا الكتاب في حلب بأربعة أجزاء بتحقيق العلامة الشيخ محمد راغب الطباخ رحمه الله سنة ١٩٢٠ – ١٩٢٤ ، ١٩٣٢ – ١٩٣٤م .

ثم طبع مع كتابين آخرين سنذكرهما في ثمانية أجزاء بتحقيق أحمد محمد شاكر ومحمد حامد الفقي رحمهما الله ١٣٦٧هـ – ١٩٤٨م ١٣٦٩هـ – ١٩٥٠م .

كتب على الأجزاء الثلاثة الأولى أنها بتحقيقهما . وأما الجزء الرابع فما بعده حتى الثامن فقد كتب عليها أنها بتحقيق محمد حامد الفقي فقط ، وقد أثبت في الأعلى من هذه الطبعة تهذيب المنذري ثم تحته معالم السنن وفي الأسفل تهذيب ابن القيم .

وقد لخص المعالم الحافظ شهاب الدين أحمد بن محمد بن ابراهيم المقدسي المتوفى سنة ٧٦٥ وسمّاه (عجالة العالم من كتاب المعالم) (١) .

[٢] – العد المودود في حواشي سنن أبي داود للحافظ المنذري المتوفى سنة ٦٥٦ وقد ذكر سزكين (٢) مكان وجود مخطوطته .

[٣] – وشرح «السنن» أيضاً شهاب الدين أحمد بن حسين بن ارسلان الرملي المتوفى سنة ٧٤٤(٣) ومخطوطاته موجودة في تركيا .

[٤] – وشرح «السنن» قطب الدين أبو بكر بن أحمد بن دعين اليمني الشافعي المتوفى ٧٥٢ في أربع مجلدات كبار في آخر عمره ومات عنه وهو مسوّدة (١) .

---

(١) « كشف الظنون » ٢/١٠٠٤ (٢) «تاريخ التراث» ١/٣٨٥
(٣) « تاريخ التراث » ١/٣٨٦

٥ ـ وشرح هذا الكتاب أيضاً مغلطاي بن فليج المتوفى سنة ٧٦٢ ولم يكمله (١) .

٦ ـ وشـــرح هذا الكتاب ايضا شـــهاب الدين أبومحمد أحمد بن محمد بن ابراهيم بن هـــلال المقدسي من أصحاب المزي . المتوفى بالقدس سنة ٧٦٥ ويبدو أنه هو الذي لخص المعالم المذكور آنفاً . وسمّى شرحه « انتحاء السنن واقتفاء السنن » (٢) ومخطوطته محفوظة في مكتبة لاله لي في أربعة مجلدات تحت رقم ٤٩٨ ـ ٥٠١ .

٧ ـ وشرحه أيضاً عمر بن رسلان بن نصر البلقيني المتوفى سنة ٨٠٥ .

٨ ـ وشرح السنن أيضاً أبو زرعة العراقي ولي الدين أحمد بن عبدالرحيم المتوفى سنة ٨٢٦ وأطال في شرحه جـداً (٢) .

٩ ـ وشرح قطعة منه محمود بن أحمد العيني الحنفي المتوفى سنة ٨٥٥ .

١٠ ـ وشرحه السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ وسمّاه « مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود » وتوجد منه مخطوطات عدة ذكرها سزكين (٣) .

وقد اختصره علي بن سليمان الدمنّي الباجمعوي وهو مطبوع في القاهرة سنة ١٢٩٨ (٣) .

١١ ـ وشرحه أبو الحسن محمد بن عبد الهادي السندي المتوفى سنة ١١٣٨هـ بعنوان « فتح الودود على سنن أبي داود » .

١٢ ـ «عون المعبود شرح سنن أبي داود» .

تأليف العلامة الشيخ شمس الحق العظيم أبادي ، ويقع في أربعة مجلدات كبيرة وقد طبع في الهند في دهلي سنة ١٣٢٢ وقد أثبت في أعلى الصفحات سنن أبي داود بعد أن بذل جهداً مشكوراً في تحقيقه ، فقد استطاع أن يميز بين رواية اللؤلؤي وغيره من الروايات ورجع في هذه الطبعة إلى إحدى عشرة مخطوطة.

أما شرحه فهو من أفضل الشروح وأكثرها استيعاباً لما قاله العلماء من قبله .

وهو لا يترك في الحديث شيئاً من ترجمة للرجال أو شرح للمفردات أو ذكر لآراء العلماءفي المسألة لا يدع من ذلك شيئاً .

وقال في التنبيه الأول: أكثرت النقل من كلام الحافظ المنذري حتى قلت تحت كل حديث : (قال المنذري كذا وكذا) لأن الامامالمنذري قد اختصر كتاب «السنن»من رواية اللؤلؤيفأحسنفياختصاره

---

(١) كشف الظنون ١٠٠٤/٢ (٢) كشف الظنون ١٠٠٤/٢
(٣) تاريخ التراث ٣٨٦/١

وذكر عقيب كل حديث من وافق أبا داود من الأئمة الخمسة على تخريجه ثم بين ضعف الحديث وعلته إن كان الحديث ضعيفاً ومعلولاً وإن كان الحديث مما اتفق عليه الشيخان أو أحدهما أو أهل السنن الثلاثة أو واحد منهم وليس فيه ضعف فيقتصر على قوله أخرجه فلان وفلان، وهذا تصحيح من المنذري رحمه الله لذلك الحديث، وإن كان الحديث مما تفرد به أبو داود وليس فيه ضعف فيسكت عنه المنذري، وسكوته أيضاً تصحيح منه لذلك الحديث وأقل أحواله أن يكون حسناً عنده، وإني نقلت سكوته أيضاً ملتزماً به، فقلت: والحديث سكت عنه المنذري، إلا في بعض المواضع في أول الكتاب، فقد فاتني هذا الأمر، ومع ذلك فإني نقلت قدراً كثيراً من كلام أئمة الحديث في تنقيد أحاديث الكتاب من الصحة والضعف وبيان عللها وجرح الرواة وعدالتهم ما يشفي الصدور وتلذ الأعين فصار هذا الشرح بحمد الله تعالى مع اختصاره وايجازه مغنياً عما سواه، فكل حديث الكتاب فرداً فرداً من أول (باب التخلي عند قضاء الحاجة) إلى آخر باب (الرجل يسب الدهر) بينت حاله من القوة والضعف إلا ما شاء الله تعالى في أحاديث يسيرة مع أنه ليس في سنن أبي داود حديث اجتمع الناس على تركه) (١).

ويقول في آخر التنبيه الخامس:

(فصار هذا المتن والشرح جامعاً لرواية ابن داسة وابن العبد وابن الأعرابي أيضاً، بل فيه بعض رواية الرملي أيضاً ولكنه قليل) (٢).

طبع هذا الشرح كما أشرنا في الهند في دهلي سنة ١٣٢٢ طبعة حجرية منقحة وفي كل جزء تصحيحات للأغلاط المطبعية بحيث أضحت هذه الطبعة إن صححت من أجود الطبعات.

وأعيد تصوير هذا الكتاب بالأوفست في بيروت.

ثم نشره محمد عبدالمحسن السلفي صاحب المكتبة السلفية في المدينة المنورة وطبعه في مصر وذكر أنه ضبط وتحقيق عبدالرحمن محمد عثمان، ونشر في الأعلى «سنن أبي داود» ويليه شرح «عون المعبود»، ثم نشر في هامش الصفحات تهذيب ابن القيم وصدر الكتاب في أربعة عشر جزءاً، بدأ بطباعته سنة ١٣٨٨هـ ١٩٦٨١ م وانتهى ١٣٨٩هـ (١٩٦٩)م في مطابع المجد بالقاهرة.

ويبدو أن هذه الطبعة المتأخرة لا تمتاز إلا بكونها على ورق أبيض وبحرف مألوف.

١٤ - وكذلك فقد شرح كتاب «سنن أبي داود» عالم معاصر هو الشيخ محمود محمد خطاب السبكي وسمى كتابه:

---

(١) «عون المعبود» ٤/٥٤٤ - ٥٤٥
(٢) «عون المعبود» ٤/٥٤٩

« المنهل العذب المورود شرح سنن الامام ابي داود » وذكر في المقدمة أنه شرع في سنة ١٣٤٣ بقراءة سنن أبي داود مع نفر من الطلبة ، فكانت نسخ الكتاب نادرة وقد صعب على الطلبة اقتناؤها ، فأراد طبعه ليسهل الحصول عليه وكتب عليه شرحاً ، وذكر أنه عني ببيان تراجم رجال الحديث وشرح ألفاظه وبيان معناه وما يستفاد منه من الأحكام ، وأنه بيّن أوجه الخلاف وأدلته وذكر من خرّج الحديث سواء كان من الأئمة الستة أم غيرهم وبيّن حال الحديث من صحة أو حسن أو غيرهما وأورد مقدمة تشتمل على نبذة من مصطلح الحديث وترجمة المؤلف كما أورد في المقدمة طرفاً من رسالته إلى أهل مكة .

أصدر الشيخ محمود هذا الكتاب في عشرة أجزاء كبيرة وطبعت في مطبعة الاستقامة بمصر سنة ١٣٥١ وقد توفي سنة ١٣٥٢ وكان وصل إلى باب الهدي من مناسك الحج . ولم يكمل الكتاب .

وقد قام مصطفى علي البيومي بوضع مفتاح لهذه الأجزاء العشرة واحتوى هذا المفتاح على الفهارس الآتية :

١ - فهرس الكتب والأبواب .
٢ - فهرس أوائل الأحاديث القولية .
٣ - فهرس أوائل الأحاديث الفعلية .
٤ - فهرس الألفاظ .
٥ - فهرس الموضوعات والأعلام والأحكام المستنبطة من الأحاديث .
٦ - فهرس جوامع الأعداد .

طبع هذا المفتاح عام ١٣٥٦هـ (١٩٣٧م) .

× × ×

إذن فكتاب «المنهل العذب المورود» شرح لقطعة من السنن ولم يتح للمؤلف أن يكمله فقام ابنه الشيخ أمين محمود خطاب السبكي بمحاولة إكمال الكتاب ، فأصدر منه أربعة أجزاء وسمّاه « فتح الملك المعبود تكملة المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود » .

طبع الجزء الأول عام ١٣٧٥هـ (١٩٥٥م) في مطبعة الاعتصام بالخيمية .

وطبع الجزء الثاني عام ١٣٧٥هـ (١٩٥٦م) في مطبعة الاستقامة بالقاهرة .

وطبع الجزء الثالث عام ١٣٧٩هـ (١٩٥٩م) في مطبعة الاستقامة بالقاهرة .

وطبع الجزء الرابع عام ١٣٨٣هـ (١٩٦٣ م) في مطبعة السعادة بمصر .

وانتهى بباب في تعظيم الزنا . أي ما يعادل قريباً من آخر الجزء الثاني (صفحة ٣٩٤) من طبعة محيي الدين ورقم الحديث الأخير الذي شرحه في طبعة محيي الدين هو ٢٣١٢ .

١٥ – وهناك شروح أخرى ذكرتها الكتب التي تعنى باحصاء التراث ، وأتوقع أن تكون هناك كتب أخرى لم نعرف من خبرها شيئاً .

المختصرات

١ – مختصر المنذري :

وهو أهم المختصرات التي اختصرت سنن أبي داود، والمنذري هو زكي الدن عبدالعظيم عبدالقوي المنذري المتوفى سنة ٦٥٦ وعرف مختصره باسم « مختصر سنن أبي داود » للمنذري غير أن حاجي خليفة (١) زعم أن المنذري قد سمّاه « المجتبى » وذهب إلى أن السيوطي ألف عليه كتاباً سمّاه « زهر الربى على المجتبى » وتابع حاجي خليفة في هذا الزعم الأستاذ الخولي في كتابه «مفتاح السنة»(٢) والأستاذ سزكين في «تاريخ التراث» (٣) وبروكلمان في «تاريخ الأدب» (٤) والذي أراه أن حاجي خليفة وهم في هذا الزعم ويؤيد هذا الاتجاه أن كتاب السيوطي «زهر الربى» هو كتاب الفه على سنن النسائي(٥) وليس على مختصر المنذري .

وكذلك فإن مما يؤيد هذا الاتجـاه أن المنذري لم يصرح بهذه التسمية في المقدمة ولا لوّح بهـا ، وكذلك لم يشر ابن القيم إلى هذه التسمية مع العلـم أنه صرح بأن كتابه مبني على كتاب المنذري الاستاذان أحمد شاكر وحامد الفقي إلى هذه التسمية .

ومن نظرنا في الكتاب نجد أنه اختصر كتاب السنن على ما رتبه مصنفه من الكتب والأبواب أي لم يرتب الأحاديث ترتيباً جديداً كما فعل في كتاب مختصر مسلم الذي قال في مقدمته (ورتبته ترتيباً يسرع بالطالب إلى وجود مطالبه في مظنته) (٦) .

---

(١) « كشف الظنون » ١٠٠٤/٢ (٢) « مفتاح السنة » ص ٨٦
(٣) « تاريخ التراث » ص ٣٨٧ (٤) «تاريخ الادب العربي» ١٨٨/٣
(٥) أنظر « تاريخ التراث » ٤٢٤/١ و «تاريخ الادب العربي ١٩٧/٣
(٦) « مختصر صحيح مسلم » ٥/١

وذكر عقيب كل حديث من وافق أبا داود من الأئمة الخمسة على تخريجه بلفظه أو نحوه .

ويلاحظ أنه حذف الأسانيد وكثيراً من تعليقات أبي داود وقد يثبت بعضها كما فعل في تعليقه على بئر بضاعة (١) .

والحق أن كتاب المنذري له وجهان وجه يلحقه بالمختصرات ووجه يلحقه بالشروح فهو مختصر وشرح بآن .

قال ابن القيم في وصفه :

(وكان الإمام العلامة الحافظ زكي الدين المنذري قد أحسن في اختصاره وتهذيبه وعزو أحاديثه وإيضاح علله وتقريبه فأحسن حتى لم يكد يدع للاحسان موضعاً وسبق حتى جاء من خلفه له تبعاً)(٢).
وقال صاحب «عون المعبود» (٣) :

(اختصر الامام المنذري كتاب السنن من رواية اللؤلؤي فأحسن في اختصاره وذكر عقيب كل حديث من وافق أبا داود من الأئمة الخمسة البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه على تخريجه. ثم بيّن ضعف الحديث وعلته إن كان الحديث ضعيفاً أو معلولاً، وإن كان الحديث مما اتفق عليه الشيخان أو أحدهما أو أهل السنن الثلاثة (٤) أو واحد منهم وليس فيه ضعف فيقتصر على قوله أخرجه فلان وفلان. وهذا تصحيح من المنذري رحمه الله لذلك الحديث ، وإن كان الحديث مما تفرد به أبو داود وليس فيه ضعف فيسكت عنه المنذري ، وسكوته أيضاً تصحيح منه لذلك الحديث وأقل أحواله أن يكون حسناً عنده) .

وقد طبع هذا الكتاب – على ما يذكر بروكلمان (٥) في حيدر آباد عام ١٣٤٢هـ وطبع في دهلي عام ١٨٩١م .

وطبع في القاهرة كما ذكرنا قبل في مطبعة أنصار السنة المحمدية منشوراً مع كتابي الخطابي وابن القيم وصدر في ثمانية أجزاء كتب على الثلاثة الأولى أنها بتحقيق أحمد شاكر وحامد الفقي وكتب على الخمسة الباقية أنها بتحقيق حامد الفقي ، وهي طبعة جيدة مشكولة مرقمة الأحاديث (٦) .

٢ – مختصر محمد بن الحسن بن علي البلخي

وقد اختصره أيضاً محمد بن الحسن بن علي البلخي من رجال القرن السابع (٧) .

---

(١) «مختصر المنذرى» ٧٤/١ (٢) «تهذيب ابن القيم» ٩/١
(٣) «عون المعبود» ٥٤٥/٤ (٤) أى النسائي والترمذى وابن ماجه
(٥) «تاريخ الأدب» ١٨٨/٣
(٦) انظر حديثنا عن هذه الطبعة عند كلامنا على معالم السنن للخطابى
(٧) «تاريخ التراث» لسزكين ص ٣٨٧

٣ – تهذيب ابن القيم

وابن القيم هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي المتوفى سنة ٧٥١هـ .
وتهذيبه أشبه بالحاشية منه بالتهذيب ، فهو قد يسكت عن أحاديث عديدة .

ثم تراه يفصل القول في شرح حديث وبيان فقهه وقد يفصل تفصيلاً لا تراه في المطولات . وقد ذكر في مقدمته خطته فقال : (فهذبته نحو ما هذب هو به الأصل وزدت عليهمن الكلام على علل سكت عنها أو لم يكملها والتعرض إلى تصحيح أحاديث لم يصححها والكلام على متون مشكلة لم يفتح مُغلَقَها وزيادة أحاديث صالحة في الباب لم يشر إليها وبسطت الكلام على مواضع قليلة لعل الناظر المجتهد لا يجدها في كتاب سواه)(١) وقد طبع في دهلي(٢) سنة ١٨٩١م ، كما طبع في الطبعة التي أشرت إليها قبل قليل وهي طبعة أحمد شاكر ومحمد حامد الفقي .

دراسات عنه (٣)

لن أستطيع الاستقصاء في مجال الدراسات وسأقتصر على ذكر أسماء بعض هذه الدراسات :

١ – جمع زكريا الساجي المتوفى (٤) سنة ٣٠٧ للسنن ما يوافق معانيها من آيات القرآن الكريم (٥) .

٢ – ألف أبو علي حسين بن محمد بن أحمد الجياني المتوفى سنة ٤٩٨ كتاباً بعنوان « تسمية شيوخ أبي داود » (٢) .

٣ – وشرح سراج الدين عمر بن علي بن الملقن الشافعي المتوفى سنة ٨٠٤ زوائد السنن على الصحيحين وتقع في مجلدين (٦) .

× × ×

خاتمة

وبعد **فهذا جهدٌ متواضع بذلته في دراسة هذا الكتاب العظيم من كتب سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن أحسنت فبفضل الله وتوفيقه وكرمه وإن أخطأت فهذا شأن البشر (رَبَّنا لاَ تُؤَاخِذنا إنْ نَسينا أوْ أخْطَأنَا) وحسبي أنني كنت جاداً في هذه الدراسة التي كانت على زحمة المشاغل وضيق الوقت، ولو لم يكن فيها إلا أنها أطلعت القراء الكرام على صفحة مشرقة وضاءة**

---

(١) « تهذيب ابن القيم » ١/٩-١٠ (٢) « تاريخ التراث » لسزكين ص ٢٨٨
(٣) أي عن السنن ، أما الدراسات عن ابي داود فليس هذا مجالهـا ويحسن أن نذكر أن الجلودي ألف كتابا خاصا في أخبار أبي داود
(٤) انظر ترجمته في « تذكرة الحفاظ » ٢/٧٠٩
(٥) « تاريخ الادب العربي » لبروكلمان ٣/١٨٦
(٦) « كشف الظنون » ٢/١٠٠٤

من تاريخ رجل من رجالاتنا ، وذكرتهم بقيمة كتاب «السنن» ، لو لم يكن فيها إلا هذا فقط لكان فيها خير إن شاء الله . جعل الله أعمالنا خالصة لوجهه ، ووفقنا العمل بما نعلم ، وأعاذنا من الفتن التي كقطع الليل المظلم تصدُّ الناس عن سبيل الله ولا سيما في زماننا هذا الذي تكالبت فيه قوى الشر والبغي على بلاد المسلمين وتداعت أمم الكفر إليهم تداعي الأكلة إلى قصعتها ، وجعلنا ممّن يحيون على شريعة الاسلام ويموتون في سبيل الذود عنها لا تنحرف بهم السبل ولا تغويهم المخاوف ولا المطامع ، وممّن يكونون واعين متيقظين لما يحاك للاسلام وأهله وبلاده من كيد ماكر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعدَ إذْ هَدَيتَنَا وَهَبْ لَنا من لَدُنْكَ رَحْمَةً إنَّكَ أنْتَ الوهّاب)(ربَّنَا آتِنَا من لدنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّىء لَنَا منْ أمْرِنَا رَشَدًا) .

وصلى الله على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا والحمد لله رب العالمين .

محمد بن لطفي بن عبد اللطيف بن ياسين الصباغ

✕ ✕ ✕

مراجع البحث

[١] - الاصابة في تمييز الصحابة لاحمد بن علي . . ابن حجر مطبعة مصطفى محمد بمصر سنة ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م

[٢] - الاعلام لخير الدين الزركلي مطبعة كوستا تسو ماس بمصر سنة ١٣٧٣هـ - ١٣٧٨م

[٣] - أمراء البيان لمحمد كرد علي . مطابع دار الكتب ببيروت ط ٣ سنة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م

[٤] - ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون طبعة الاوفست طهران سنة ١٣٨٧هـ

[٥] - الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث مطبعة محمد علي صبيح بمصر ط ٣ سنة ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م

[٦] - الباعث على الخلاص من حوادث القصاص لعبد الرحيم العراقي تحقيق محمد الصباغ نشر في العدد الرابع من مجلة اضواء الشريعة بالرياض سنة ١٣٩٣هـ

[٧] - بحوث في تاريخ السنة المشرفة لاكرم ضياء العمري مطبعة الارشاد ببغداد سنة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م

[٨] - البداية والنهاية لاسماعيل بن عمر بن كثير مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٥١هـ - ١٣٥٨م

[٩] - تاج العروس في شرح القاموس لمحمد مرتضى الزبيدي المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٠٦

[١٠] - تاريخ الادب العربي لبروكلمان ترجمة د. عبد الحليم نجار دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٩م

[١١] - تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان دار الهلال بمصر سنة ١٩٥٧

[١٢] - تاريخ بغداد لاحمد بن علي الخطيب البغدادي مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٣١

[١٣] - تاريخ الخلفاء لعبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي مطبعة الفجالة الجديدة سنة ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م

[١٤] - تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين ترجمة فهمي ابو الفضل المطبعة الثقافية بمصر سنة ١٩٧١

[١٥] - تاريخ الطبري لمحمد بن جرير تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم دار المعارف بمصر

[١٦] - تحذير الخواص من أكاذيب القصاص لعبد الرحمن أبي بكر السيوطي تحقيق محمد الصباغ المكتب الاسلامي بدمشق سنة ١٣٩٢ سنة ١٩٧٢م

[١٧] - تحفة الاحوذي لمحمد بن عبد الرحمن المباركفوري طبع الهند سنة ١٣٤٣

[١٨] - تحفة الاشراف ليوسف بن عبد الرحمن المزي تحقيق عبد الصمد شرف الدين طبع بمباي الهند سنة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م

[١٩] - تدريب الراوي لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي نشر المكتبة العلمية بالمدينة سنة ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م

[٢٠] - تذكرة الحفاظ لمحمد بن أحمد الذهبي طبع حيدر أباد الهند سنة ١٣٧٦هـ - ١٩٥٩م

[٢١] - ترتيب المدارك للقاضي عياض .

[٢٢] - التقريب مطبوع أعلى تدريب الراوي نشر المكتبة العلمية بالمدينة سنة ١٣٧٦هـ - ١٩٥٩م

[٢٣] - التقييد والايضاح لما اطلق وأغلق من مقدمة ابن الصلاح للحفاظ العراقي تحقيق راغب الطباخ المطبعة بحلب سنة ١٣٥٠ - ١٩٣١

[٢٤] - تهذيب ابن عساكر لعبد القادر بدران طبع دمشق .

[٢٥] - تهذيب الأسماء واللغات ليحي بن شرق النووي - المطبعة المنيرية بمصر

[٢٦] - تهذيب التهذيب لاحمد بن علي بن حجر طبع حيدر أباد الهند سنة ١٣٢٥

[٢٧] - توجيه لطاهر لطذاهر بن صالح الجزائري طبع مصر وأعيد تصويره بالاوفست في بيروت

٢٦ جامع الاصول لمبارك بن محمد بن الاثير مطبعة السنة المحمدية في مصر سنة ١٣٦٨هـ – ١٩٤٩م

٢٧ – الجرح والتعديل لابن أبي حاتم طبع حيدر أباد الهند سنة ١٣٧١هـ

حجة الله البالغة للدهلوي

٢٨ الحديث النبوي لمحمد بن لطفي الصباغ المكتب الاسلامي ببيروت سنة ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م

٢٩ الخلاصة لاحمد بن عبد الله الخزرجي المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٢٢هـ

٣٠ الدرر الكامنة لاحمد بن علي بن حجر مطبعة المدني بمصر سنة ١٣٨٥هـ – ١٩٦٦م

٣١ رسالة ابي داود تحقيق محمد الصباغ طبع دار العربية ببيروت سنة ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م

٣٢ الرسالة المستطرفة لمحمد بن جعفر الكتاني دار الفكر بدمشق سنة ١٣٨٣هـ

٣٣ سنن ابن ماجه لمحمد بن يزيد بن ماجه تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار احياء الكتب العربية ١٣٧٢هـ – ١٩٥٢م

٣٤ سنن أبي داود لسليمان بن الاشعث تحقيق محيي الدين عبد الحميد مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٦٩هـ – ١٩٥٠م

٣٥ سنن الترمذي لمحمد بن عيسى الترمذي المطبوع في أعلى تحفة الاحوذي طبع الهند سنة ١٣٤٣هـ

٣٦ سنن الدرامي لعبد الله بن عبد الرحمن تحقيق محمد أحمد دهمان مطبعة الاعتدال بدمشق سنة ١٣٤٩هـ

٣٧ سنن النسائي لاحمد بن شعيب المطبعة المصرية بالازهر بمصر

٣٨ سير اعلام النبلاء

٣٩ شذرات الذهب لعبد الحي بن احمد بن العماد مكتبة القدسي بمصر سنة ١٣٥٠هـ

٤٠ شروط الأئمة الخمسة لمحمد بن موسى الحازمي مكتبة القدسي بمصر سنة ١٣٥٧هـ

٤١ شروط الأئمة الستة لمحمد بن طاهر المقدسي مكتبة القدسي بمصر سنة ١٣٥٧

٤٢ صحيح ابن خزيمة لمحمد بن اسحاق تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي مطابع دار القلم سنة ١٣٩١هـ – ١٩٧١م

٤٣ صحيح البخاري لمحمد بن اسماعيل مطبعة الفجالة الجديدة سنة ١٣٧٦هـ

٤٤ صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج طبعة محمد علي صبيح

٤٥ الضوء اللامع لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي مطبعة القدسي مصر سنة ١٣٥٢هـ

٤٦ طبقات الحنابلة لمحمد بن أبي يعلى محمد حامد الفقي مطبعة السنة المحمدية

٤٧ طبقات الشافعية للسبكي تحقيق الحلو والطنامي مطبعة عيسى البابي بمصر سنة ١٣٨٣هـ

٤٨ علوم الحديث لعثمان بن عبد الرحمن بن الصلاح تحقيق العتر مطبعة الاصيل حلب سنة ١٣٨٦هـ – ١٩٦٦م

٤٩ عون المعبود للعظيم أبادي طبع دهلي في الهند سنة ١٣٤٣هـ

٥٠ فتح المغيث لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي مطبعة العاصمة بمصر سنة ١٣٨٨هـ

فتح الملك المعبود تكملة المنهل العذب المورود لأمين محمود خطاب السبكي مطبعة الاعتصام بالقاهرة سنة ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥م.

٥١ فهرست ابن خير لابي بكر محمد بن خير لمكتبات المثنى والخانجي والمكتب التجاري سنة ١٩٦٣م

فهرس مخطوطات الظاهرية لمحمد ناصر الدين الالباني طبع دمشق

٥٢ القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروز أبادي مطبعة دار المأمون بمصر سنة ١٣٥٧هـ – ١٩٣٨م

٥٣ قواعد التحديث لجمال الدين بن محمد القاسمي مطبعة ابن زيدون دمشق سنة ١٣٥٣هـ – ١٩٣٥م

٥٤ كشف الظنون لمصطفى بن عبد الله حاجي خليفة طهران سنة ١٣٨٧

٥٥ الكنى والاسماء للدولابي طبع حيدر أباد سنة ١٣٢٢

٥٦ لسان الميزان لأحمد بن علي بن حجر طبع حيدر آباد الهندسة ١٣٢٥

٥٧ مختصر سنن أبي داود لعبد العظيم بن عبد القوي المنذري مطبعة السنة المحمدية بمصر سنة ١٣٦٦ هـ

٥٨ مختصر صحيح مسلم لعبد العظيم بن عبد القوي المنذري تحقيق الالباني طبع وزارة الاوقاف الكويتية .

٥٩ المستدرك لمحمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري طبع حيدر آباد الهند سنة ١٣٣٣ هـ

٦٠ المسند لاحمد بن حنبل المطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣١٣

٦١ معالم السنن للخطابي تحقيق أحمد شاكر وحامد الفقي مطبعة السنة المحمدية بمصر سنة ١٣٦٦ هـ

٦٢ معجم الادباء لياقوت الحموي مطبعة دار المأمون مصر

٦٣ معجم البلدان لياقوت الحموي دار صادر ودار بيروت سنة ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٥ م

٦٤ معجم المطبوعات العربية والمصرية ليوسف البيان سركيس مطبعة سركيس سنة ١٣٤٦ هـ ـ ١٩٢٨ م

٦٥ المعجم المفهرس لالفاظ الحديث لمجموعة من المستشرقين طبع مكتبة بريل في لبدن .

٦٦ المعجم المفهرس لالفاظ القرآن لمحمد فؤاد عبد الباقي مطابع الشعب بمصر سنة ١٣٧٨ هـ

٦٧ مفتاح السنة لمحمد عبد العزيز الخولي مطبعة الاستقامة بالقاهرة

مفتاح المنهل العذب المورود لمصطفى على البيومي .

٦٨ المنتظم لعبد الرحمن بن علي بن الجوزي مطبعة دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد سنة ١٣٥٨

٦٩ المنهج الاحمد في تراجم اصحاب الامام احمد لعبد الرحمن بن محمد العليمي تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد مطبعة المدني بالقاهرة سنة ١٣٩٣ هـ - ١٩٦٣ م

٧٠ المنهل العذب المورود . لمحمود خطاب السبكي مطبعة الاستقامة بمصر سنة ١٣٥١ هـ

٧١ موارد الظمان الى زوائد ابن حبان لعلي بن ابي بكر الهيثمي بتحقيق محمد عبد الرزاق حمزة المطبعة السلفية بمصر ميزان الاعتدال لمحمد بن أحمد الذهبي تحقيق البجاوي دار احياء الكتب العربية بمصر .

٧٢ ميزان الاعتدال لمحمد بن أحمد الذهبي تحقيق البجاوي دار احياء الكتب العربية بمصر

٧٣ هدية العارفين لاسماعيل بن محمد البغدادي طهران سنة ١٣٨٧ هـ

✖ ✖ ✖

الفهرس